الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم-

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية

مذكرة لنيل شهادة الماستر في البلاغة العربية

الموضوع :

بلاغة الحجاج في الأحاديث النبوية الشريفة

اعـــــداد :

بخضرة أمال

الأستـــاذ :

حمودي محمد

السنة الجامعية : 2015 – 2016

إهـــداء

أهـدي هـذا العمـل الـى :

والـديا الكـريمين

إخـوتي وأخـواتي

والى جميـع أفراد عائلتي

أمال بخضرة

كلمة شكر :

أقدم شكري الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور "

حمودي محمد" الذي قام بتوجيهي ودعمي أثناء انجاز

هذا البحث .

كما أتقدم بالشكر كذلك الى كل من مد لي يد العون من

قريب أو من بعيد

يقول الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

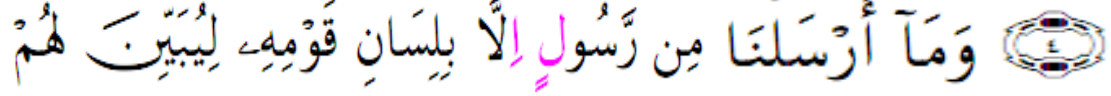

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ

" ابراهيم – الآية 4 "

المـقـدمـة :

الحمد لله معلم البيان ، منزل القرآن ، رب الأنس والجان ، والصلاة والسلام على أفضل مخلوق ، وأعظم انسان وبعد:

البلاغة العربية ، من أهم العلوم قدرا ، وأرفعها منزلة وشرفا هي علم نضج ولم يحترف قال عنه حازم القرطاجي في منهاج البلغاء : " وكيف يظن انسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب ، وهي البحر الذي لم يصل أحد الى نهايته مع استنفاذ الأعمار"

فعلم البلاغة ،هو العلم الذي تجتمع وتنصهر، وتتداخل فيه علوم العربية جميعها بلغتها ، ونحوها ، وصرفها ، وهو يحق العلم الذي يمثل الانسان العربي ، بذوقه وفكره من خلال النصوص العربية المتنوعة والمختلفة التي أنتجها الاحساس المرهف ، التفنن في أساليب اللغة عبر العصور ، وبفكره من خلال الهندسة التي يقيم عليها تلك النصوص ، والمناهج التي يدرس ويحلل بها هذا الموروث ، بل والقواعد التي وضعها علما ومعالما لتوجيه الذوق ، وارشاد الفكر ، وتمثل ظاهرة الحجاج بوصفها أداة أسلوبية ، وبوصفها أداة عقلية ، عنصرا أساسيا في بناء المورث البلاغي العربي (أداة ودراسة).

والحديث النبوي خطاب تعليمي ، بما تتضمنه الغاية التعليمية من تحقيق الغايات التشريعية ، التبينية ، فالغاية من الخطاب النبوي هو التعليم والارشاد ، وتأتي كل الوسائل البلاغية ممكنة لهذه الغاية ، فالحديث النبوي يأتي ليحقق نموذجا فريدا لخصائص النص.

وخصائص الأسلوب التعليمي في الحديث النبوي الشريف ما يفسر لنا مقولة جوامع الكلم ، بالإضافة الى البعد التشريعي.

يستلزم الدقة في الصياغة ،ولن تتوفر الدقة والأحكام الا بالوسائل الأسلوبية المحققة لذلك ، ومن هنا يصبح الجن في البلاغة الحديث النبوي الشريف هو البحث في الكيفية الأسلوبية التي تحققت بها الدقة والأحكام وصرامة تحديد المواقف .

وما دفعني لدراسة هذا الموضوع عدة أسباب منها :

- اهتمام معظم الدراسات البلاغية بالجانب الشكلي للبلاغة دون البحث عن جوهرها فالبلاغة تعني التوصيل والافهام والابانة ، وحاجتنا أيضا الى معرفة وسائل الاقناع فقد أضحى الحجاج مطلبا أساسيا في كل عملية تواصلية ، تستدعي الافهام والاقناع فالمجتمع يتجه يوما نحو علوم التحريض والدعاية.

- بالإضافة الى اهتمامي الخاص بالنصوص التراثية ، خاصة الخطاب النبوي وماله من تأثير في نفوس المتلقين بعد القرآن الكريم طبعا.

- فقد اعتمد البحث ، على التحليل البلاغي لوسائل الاقناع في الحديث النبوي الشريف بدراسة الأساليب التي تؤثر في الجمهور المتلقي ، والقوة الحجاجية للاستعارة ، وهذه الأساليب هي التي تألقت منها مادة الدراسة ،واقتضى هذا المنهج أن يقسم البحث الى :

* المقدمة : حيث عرضت فيها الصعوبات التي واجهتني من خلال البحث ومنهج الدراسة.

* المدخل : قد عالجت فيه مصطلح البلاغة الذي يتأرجح بين معنيين متعارضين يدل أولهما على الخطاب الذي يستهدف الاقناع ، ويدل ثانيهما على الخطاب الذي يتصل من مهمة الاقناع لكي يصبح هو في حد ذاته هدفا وغاية أي لكي يصبح خطابا جماليا كما تتطرقت في هذه الدراسة الى الأبعاد والظواهر الحجاجية في البلاغة العربية وهذا من خلال المظاهر التالية:

المظهر الأول : هو مفهوم البلاغة نفسها، وما انطوت عليه بعض تعريفات من اشارات الى الجانب الحجاجي ، وكونه أهم ركائز هذا المفهوم.

المظهر الثاني : هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

أما المظهر الثالث : يبرز من خلال تلك المصطلحات التي يغلب عليها طابع البرهان والحجاج والاقناع كالاستدلال ، الاستحالة ، الإلجاء، أي أنها تركز على الحجة والاقناع أكثر من تركيزها على الفن والامتناع ، وهي مظهر آخر للبعد الحجاجي في البلاغة العربية .

* الفصل الأول : عنوانه صور الخطاب الحجاجي ، تطرقت الى المعنى اللغوي والاصطلاحي للحجاج الذي يمثل الاقناع في حد ذاته و أهم خصائصه وأصنافه ، ثم تطرقت الى أهم نظرياته الغربية والعربية ،الحديثة والقديمة ، حيث أنه على الرغم من انبثاق هذا المصطلح عن اللسانيات الحديثة الا أن جذوره ضاربة في التراث العربي.

* الفصل الثاني : تحت عنوان بلاغة الحجاج في الأحاديث النبوية ، تعرضت الى بلاغة الحديث النبوي ، وآلية الحجة فيه كما نعلم جيدا أن النبي كان يحدث الصحابة وهم أكثر الناس تصديقا له ، و إيمانا برسالته ، فليسوا منكرين ولا مكذبين ، رغم ذلك جاءت الأحاديث مشتملة على وسائل الاقناع للتأكيد ويمكن أن نقول هنا أن التـأكيد ليس للمتلقي ذاته ، وانما التأكيد للكلام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يشك في تصديق المتلقي الحاقد وانما يؤكد كلامه للمتلقي الذي سيسمع الكلام أنفا.

ثم انتقلت الى الطاقة الحجاجية للاستعارة في الأحاديث النبوية الشريفة باعتبارها من حيث التركيب المنطقي نوع من القياس الا أنه قياس مختزل وبعبارة أدق قياس اضماري أي قياس حذفت مقدما واكتفى بالنتيجة.

* الخاتمة : تضمنت أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث.

* قائمة المصادر والمراجع : اعتمدت على قائمة من المصادر والمراجع أهمها :

- البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ابن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، البيان والتبين للجاحظ ، دلائل الاعجاز للجرجاني ،مفتاح العلوم للسكاكي أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، معترك الأقران في اعجاز

القرآن السيوطي ، محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،عبد السلام عشير عندما نتواصل نغير ، بلاغة الحجاج ، القارصي محمد علي ، عبقرية محمد العقاد ، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، محمد الصباغ ، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي .

- ارشاد القرآن والسنة الى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة – ابن القيم الجوزية - الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ، فالح أحمد الحمداني .

ولكن ما يجب الاشارة اليه ، هولأن لهذه المحاولة صعوبات تأتي في مقدمتها قلة المصادر والمراجع ،الموجودة فتكمن صعوبتها في الطرح ،بالإضافة الى ضيق الوقت.

الفصل الأول

صور الخطاب الحجاجي

أولا – ماهية الحجاج وخصائصه

1- مفهوم الحجاج

2- خصائص الخطاب الحجاجي

ثانيا : أصناف الحجاج ونظرياته.

1- أصناف الحجاج

2- أهم نظريات الحجاج (الغربية والعربية)

المدخل

البعد الحجاجي في البلاغة العربية

اشتهرت العرب بالفصاحة والبلاغة، وقد توج نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين فصاحة العرب،وبرهن على بلاغتهم التي لا تبارى ، فجاء القرآن متحديا هذه الفصاحة الكاملة وتلك البلاغة التامة وقد صور الذكر الحكيم ذلك في أكثرمن موضع مثل قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝﴾[1]

كما صور شدة عارضتهم، وقوتهم في الحجاج والجدل، بمثل قوله ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَ... وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾[2] و أيضا قوله تعالى:[3] تعالى:

وإذا حاولنا التأصيل للبحث أو الدراسات البلاغية فإننا نجد جذورها تعود الى العصر الجاهلي ، فقد اشتهرت العرب بالفصاحة والبلاغة ، كما اشتهرت أيضا بالبعد عن فضول الكلام والحشو والإسهاب ولم تكن العرب تفتخر بتلك الفصاحة فحسب ، وإنما كان يترتب على تلك الفصاحة أشياء ترفع من شأن العربي ، الذي يشم بها ، فيسود يومه ويعلو كعبه ، فالبيان شرط من شروط السيادة عند العرب ، لذا حق على العرب أن يتناقضوا في تدريب ألسنتهم ،واقتحام مواقف" الخطابة " وفرض "الشعر"، وكل ما يسير بهم نحو الكمال في الفصاحة والبلاغة .

كما عكس سوق " عكاظ " هذا الاهتمام بالفصاحة والبلاغة ، بالإضافة كونه مجتمعا للعرب وموسما لحججها وتجاربها.[4]

1- سورة الرحمن ،الآيات :1 – 3.

2- سورة الأحزاب ،الآية : 19

3- سورة المنافقون ، الآية :04.

4- ينظر ، شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ،دار المعارف ، بيروت، ط12 ،1995 – ص13

فسعى البلغاء من الشعراء والخطباء إلى تحيير كلامهم وتجويده ، يتبارون فيها كل يريد أن يحوز فصب السبق عند سامعيه.

ولقد كان للحجاج حضوره في البلاغة العربية التي شكل البرهان و الإقناع أحد أهم مباحثها ، ويمكن القول إن البلاغة العربية ظل يتجاذبها جانبان أساسيان : جانب التواصل والإبلاغ وجانب الفن والجمال ، الدلالة والإبلاغ بما يعنيانه من دقة مباشرة ووضوح وإقناع ، والفن والجمال بما يفرضانه من غموض وتخيل و إمتاع .

ولقد كان البلاغيون القدماء على وعي بتعدد استعمال الظاهرة اللغوية ، فكانوا يفرقون بين مستويين اثنين على الأقل أحدهما : استعمال عادي مألوف يخلو من كل سمة أسلوبية ، والآخر هو استعمال مطبوع بسمة فنية خاصة.

1- البلاغة العربية بين الإقناع والامتناع :

فمصطلح البلاغة يتأرجح بين معنيين متعارضين ، يدل أولهما على الخطاب الذي يستهدف الإقناع ، وتغيير الأحوال والمقامات ، اعتمادا على الملكة الخطابية ويدل ثانيهما على الخطاب الذي يتصل من مهمة الإقناع ، لكل يصبح هو في ذاته هدفا وغاية ، أي لكي يصبح خطابا جماليا ففي الحالة الأولى يدور الحديث حول:

أولا : حجاجية مفهوم البلاغة :

أول ما يبرز أمامنا من ظواهر البعد الحجاجي للبلغة ما نجده في ثنايا تعريفاتها ومن الصعب الإلمام بمصطلح البلاغة ، وذلك لكثرة المفاهيم التي احتوت عليها [1] .

1- ينظر مغال مسعود بودوخة ، البعد الحجاجي في البلاغة العربية ، جامعة سطيف ،11 نيسان ،أبريل 2013 ،ص 65

كلمة البلاغة ، فقد مرت بعدة مراحل و أزمات ،إلى أن استقرت في الأذهان : فالكثير من التغيير والتطور قد داخل البلاغة ومصطلحاتها عبر هذا التاريخ الطويل إضافة إلى تداولها في بيئات مختلفة ، من لغويين ، كتاب ، أدباء ، فلاسفة ،وعلماء الكلام والفقهاء ورجال الأصول ، كل هؤلاء أسهموا في تحديد هذا المصطلح لذلك سننطلق من المعنى اللغوي والمعجمي لمصطلح البلاغة:

أ- المفهوم اللغوي لمصطلح البلاغة :

وفي هذا سيفيد ابن فارس " أن الباء ، اللام ، والعين أصل واحد صحيح وهو الوصول الى الشيء ، تقول بلغت المكان إذ وصلت إليه"

وفي "الجمهرة" :" بلغت المكان ، إذ وصلت إليه"

* الصحاح : " بلغت المكان بلوغا ، وصلت إليه "

* اللسان : " بلغ الشيء بلوغا ، وبلاغا ،وصل وانتهى"

* القاموس :" بلغ المكان بلوغا ، وصل اليه أو شارف "

* أساس البلاغة : " بلغ الرجل بلغة ، فهو بليغ أو تبالغ في كلامه ، تعاطى البلاغة وليس من أهلها"[1].

نلاحظ أن كل هذه المعاجم ، مجمعة على ربط عناصر المادة الثلاثية للبلاغة بالوصول الى ذات الشيء أي : " الإيصال " و "الإبلاغ" .

ويشير أبو هلال العسكري إلى المعنى اللغوي لبلاغة بقوله : " البلاغة من قولهم بلغت الغاية ، إذا انتهيت إليها ، وبلغتها غيري، ومبلغ الشيء منتهاه، والمبالغة[2]

1- ينظر :الجمهرة ،التهذيب ، الصحاح ،اللسان ،الأساس ،مادة بلغ .

2- أبو هلال العسكري ، الصناعيتين ، ت ، مفيد قمحة ،دار الكتب العلمية ، لبنان بيروت ، ط 2 ، 1989 ،ص15

في الشيء الانتهاء الى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنتهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه "

كثيرة ، فالخطاب،ولا رسائل ، ولا شعر،إلا وتتجلى فيه لمسات بلاغية ، تساهم في إستمالة القارئ منذ الوهلة الأولى ،التي يتناول فيها ذلك الموضوع .

أما : **أبو هلال العسكري** في كتابه "الصناعتين" : صاغ مفهوما خاصا للبلاغة حيث قال: **" البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن "** [1]

كما أورد أبو هلال العسكري أيضا عن العربي أنه قال :

" البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد من حشو الكلام ، وقرب المأخذ و إيجاز في صواب ، وقصد إلى الحجة ،وحسن الاستعارة" [2]

وبهذا نجد كلا التعريفين يحملان مفهوما واحدا للبلاغة ،وهو الوضوح والكشف عن المعنى، ولو تأملنا أيضا لوجدانه يشير إلى طرفي التواصل **" السامع و المتكلم"** حيث يركز على المتكلم ، ويؤكد ضرورة إمتلاكه القدرة على التأثير على السامع وتتجلى تلك القدرة على التأثير في إستخدامه لوسائل تعبيرية وبلاغية محددة تساهم في نقل الرسالة اللغوية الإنفعالية في نفس المتكلم إلى نفس السامع للتأثير فيه .

أي أن البلاغة عملية تواصلية بين متكلم ، يسعى إلى إيصال رسالة لغوية عبر قناة إتصال معينة الى سامع معين في مقام معين. [3]

1- أبو هلال العسكري ،الصناعتين ،ص 10.

2- المرجع نفسه ، ص 47

3- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

وفي هذا التعريف يربط **" العسكري"** بين المعنى اللغوي للبلاغة ، وهو الايصال والإبلاغ ، وبين أن وظيفة وغاية البلاغة هي **" إيصال المعنى"** أو **" نجاح المتكلم في إيصال المعنى الى قلب السامع" .**

ب- المفهوم الاصطلاحي لمصطلح البلاغة:

نجد الجاحظ في كتابه **" البيان والتبين "**،قد أعطى مفاهيم للبلاغة ، فقد ذكر أنه قال بعض أهل الهند : **" البلاغة ، البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضيع الفرصة ، أن ندع الافصاح بها ، الى الكناية منها ، و إذا كان الافصاح أوعر طريقة ، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك ، وأحق بالظفر"**[1]

وإلى جانب هذا المفهوم الذي يعطي للبلاغة وظيفة **" إقناعية "** ، نجد الجاحظ قد قال أيضا الى صديقه ، سأل العتابي ما البلاغة فأجابه : **" كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ، ولا حبسة ، ولا استعانة ، فهو بليغ ، فان أروت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب ، فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق"**[2].

فالبلاغة عند العتابي، تظهر الحق الذي كان غامضا ، وتخرج الباطل في صورة الحق ، ونصل الى هذا كله بفعل الغاية الافهامية والاقناعية للبلاغة وتتجلى الوظيفة الاقناعية للبلاغة العربية ، كذلك لما أورده الجاحظ عن " ابن المقفع" أنه قال : **"البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الاجابة ، ومنها ما يكون رسائل"**[3]

فنظرا للأهمية الكبيرة ، التي تحملها البلاغة ، فإنها تكتسح ميادين أدبية.

1- الجاحظ ، البيان والتبين ،ج1 ، تحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ،بيروت، د ت ،ص 88

2- المرجع نفسه ،ص 113.

3- المرجع نفسه ،ص 116

ثانيا : مراعاة مقتضى الحال :

ومن أبرز الظواهر المتصلة بالبعد الحجاجي للبلاغة العربية مبدأ مراعاة مقتضى الحال ، وهو مبدأ هام لا ينفصل عن تعريف البلاغة بنفسها حيث استقر مفهومها لدى المتأخرين خاصة بأنها **:" مطابقة الكلام لمقتضى الحال"**[1]

ومبدأ مراعاة المقام ، ومقتضى الحال قد عرف لدى البلاغيين منذ الجاحظ الذي يصرح قائلا : **" ينبغي للمتكلم أم يعرف أقدار الحالات ، فيجعل كل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"**[2]

فهذا النص يشير الى التناسب المقامي ، بين بنية الكلام ، وبين غرضه الذي يستهدف المتلقين.

وقد هدثم فكرة مقتضى الحال الى أن جعلوا التناسب والاتساق أساسا قامت عليه كثير من المباحث البلاغية ، لا سيما في مجال علم المعاني ، الذي يهتم بضبط التناسب الدقيق بين شكل التركيب وفحواه من جهة ، وما يتطلب المقام والغرض من جهة أخرى ، ذلك أن مقامات الكلام متفاوتة **" فمقام التشكير، يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة ، يباين مقام التعزية ، ومقام المدح ، يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد في ذلك يباين مقام الهزل "**[3]

1- القزويني ،جلال الدين ،الايضاح في علوم البلاغة ، تحقيق علي أبو ملحم ،دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،2000 م ،ص 32.

2- الجاحظ ، البيان والتبين ،ص 92.

3- المرجع نفسه ،ص 168.

هذا بالنسبة إلى الأغراض ، وهي جانب واحد من جوانب المقام المتعددة وهناك الجانب الآخر المتعلق بالمخاطب ، وهنا نجد أن **" مقام الكلام ابتداء يغاير**

مقام البناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يباين مقام البناء على الانكار ..وكل مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ،ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[1]

وهذا ما ركز عليه القزويني عندما ذكر أن:**" مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة"[2]**

وهذا يدل على اهتمام البلاغيين بالمتلقي ، وحرصهم على التأثير فيه من خلال صياغة ما يناسب حالة من التراكيب والأساليب ، على الرغم من عاتق التفاوت بين المتلقين ، وهي مشكلة أشار اليها الجاحظ ، وأناط التغلب عليها باقتدار المتكلم من ناصية البيان ، وذلك في قوله : **" فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك الى أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسبوها الألفاظ الواسطة التي تطلق على الدهماء ،ولا تجفو على الأكفاء فأنت البليغ التام". ثالثا : مصطلحات حجاجية.**

ومن أهم الظواهر الدالة على البعد الحجاجي، في البلاغة العربية تلك المصطلحات التي يغلب عليها طابع البرهان والحجاج والاقناع ،فهذه المصطلحات تركز على الحجة والاقناع أكثر من تركيزها على الفن والامتناع ، وفيما يأتي عرض لأبرز هذه المصطلحات .

1- المرجع السابق، ص 168.

2- القزويني ، الايضاح ، ص 32-33.

3- البيان والتبين ،ص 91

01- الإحتجاج : وهو لون من ألوان الكلام ، وسماه الزركشي إلجام الخصم بالحجة وسماه بعض البلاغيين " المذهب الكلامي " ، وحقيقته احتجاج المتكلم على

خصمه بحجة تقطع عناده ، وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم وابطال ما أورده الخصم وسمي المذهب الكلامي لأنه يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على ابطال حجج خصومهم.[1]

02- الإستدلال : الاستدلال هو تقرير الدليل لإثبات المدلول ، سواء كان ذلك من الأثر الى المؤثر أو بالعكس ، وهذا المصطلح – كما هو واضح – مصطلح وثيق الصلة بالجانب الحجاجي المنطقي.[2]

03- الإلجاء : [3] الالجاء هو الاضطرار ، و ألجأ الى الشيء اضطره اليــه .

وقد عرف المصري الإلجاء بقوله:**" هو أن تكون صحة الكلام المدخول ظاهرة موقوفة على الإتيان فيه بما يبادر الخصم الى رده بشيء يلجئه الى الاعتراف بصحته".**

04- الإستدراج : ذكره ابن الأثير وقال إنه " مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال ، والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض هنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الإذعان والتسليم واذا حقق النظر فيه ملم أن مدار البلاغة كلها عليه ، لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائمة.[4]

1- أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1409ه /1989م ،ص 410.

2- الجرجاني السيد الشريف ،التعريفات ، منشورات ، محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 2002 ،ص 210.

3- أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص 169.

4- ابن الأثير ،ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق كامل ،محمد عويض ،دار الكتب العلمية، بيروت ،ط1 ، ،1998،ص 268.

ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون متجلية لبلوغ غرض المخاطب بها .. وإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم الى إلقاء يده فليس بكاتب ولا شبيه له الا

صاحب الجدل ، فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية[1]

* قال في تعريف الاستدراج : **" هو التوصل الى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به "**

وعرف ابن الأثير الحلبي الاستدراج **:" يقال استدرج فلان فلانا اذا توصل الى حصول مقصوده من غير أن يشعره في أول وهلة**[2]

05- **مجاراة الخصم :** وهو من المصطلحات التي عرفت في علم الجدل ، **قال " السويطي"** : **" ومنها مجاراة الخصم ليعثر بأن يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبكيفه وإلزامه "** كقوله تعالى : (إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُونَا عَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينْ قَالَتْ لَهُمْ ُرسُلُهُمْ إِنّ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلِكِنَ الله يَمُنُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)

فقوله : (إِنّ نَحْنُ اِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية فكأنهم سلموا انتقاء الرسالة عنهم ، وليس مرادا بل هو مجاراة الخصم ليعثر ، فكأنهم قالوا : ما أدعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره ، ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله علينا بالرسالة .[3]

1- المرجع نفسه ، ص نفسها.

2- ابن الأثير ضياء الدين ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنشور ،ت ،مصطفى جواد وبميل سعيد ،م ، المجمع العلمي العراقي ، ص 235.

3- السيوطي جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، (د ت).

ويمكننا أن نرجع سبب تركيز " البلاغة " على اقناع السامع أو المتلقي وطغيان هذه السمة على " البلاغة " الى طبيعة النصوص التي دارت حولها أي البلاغة وهي:[1]

01- الخطابة ، والتي كانت لها " وظيفة نفعية وغاية علمية ، من تغيير في المعتقد وانتصار المذهب ، وحقن للدماء وقطع للرقاب والتعليم والافهام ، والتهذيب والاصلاح واحث والانهاض بالصلة التأثير والاقناع".[2]

02- النص الشعري ، وهو قسيم الخطابة في الأدب العربي القديم ، فقد شاركت القصيدة الخطبة في كثير من موضوعاتـها ، وقد نظمـت للمفاخرة والمنافرة والمدح والهجاء ، والحث والانهاض ، فالشم كما يقول ابن سينا **" قد يقال للتعجب وحده وقد يقال لأغراض المدنية وهي المشورية ، والمتاجرية والمنافرية وشانه في ذلك شأن الخطابة .**[3]

03- النص " القرآن الكريم " والذي استقطب اهتمام البلاغيين العرب وقد كان ذات طبيعة خطابية ، و خطابية

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

جدلية على نحو خاص ، ومن ذلك قوله تعالى:[4]

وفي تفسير هذه الآية يقول العسكري:" فهذه دلالة واضحة على أن الله تعالى قادر على اعادة الخلق ، مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها لأن الاعادة ليست بأصعب في العقول من الاستداء "[5]

1- محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ط1 ،1991 ،ص 203.

2- جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، دط ،2000 ،ص 127.

3- المرجع نفسه ،ص 128.

4- سورة يس الآيتين ،78-79.

5- أبو هلال العسكري ، ص27

ومن خلال ما سبق، نستطيع أن نقول أن البلاغة اهتمت بالدرجة الأولى بطريقة انتاج النص ، وتقدم النصائح والشروط للمتكلم كي تنال رسالته كلمة استحسن أو رضا من قبل السامع أو المتلقي .

فهي تعتني بالصياغة اللغوية لهذه الرسالة لكي تؤدي وظيفتها وفاعليتها عند المتلقي البلاغة هي الطريقة والوسائل المتبعة في الكلام والتي تهدف الى ايصال المعنى الى عقل وقلب السامع والتأثير فيه .

إذن البلاغة العربية " تعنى بدراسة المعنى من حيث الإنتاج ، والانسجام والتمكين وقد بحث في عناصر المعنى هذه بحثا مترابطا ، فعملت على توجيه الانتاج توجيها يضمن انسجام الخطاب ، أو حصول التمكين والاستجابة "[1]

بذلك فإن البلاغة تعيين للمتكلم ، وتقدم له الوسائل والطرق التي يحترز بها عن الوقوع في الخطأ والتعقيد والغموض والإلباس ، وعلوم البلاغة الثلاثة تعمل جميعها لتحقيق هذه الغاية .

فـ" علم المعاني" : " هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان ، وغيره ليحترز بالوقوف من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره"[2] ، أي العلم الذي يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد،حتى يكون مطابقا لمقتضى الحال من تقديم وتأخير ، وحذف ، وذكر...، بحيث يكون لكل مقام مقال،أما**" علم البيان"**[3] علم يراد به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلطة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام[4]

1- ناعم عودة خضر ، الأصول المعرفية لنظرية التلقي ، دار الشروق ، عمان الأردن، ط1 ، 1997 ، ص 65.

2- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 247

3- المصدر نفسه ،ص 249

4- القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة ،ط 2

لتمام المراد منه " ، إذن " البيان " أن تقدم الدلالة الى المتلقي بطرق مختلفة ومتعددة ، ويدخل ضمن دائرة علم البيان " التشبيه ، المجاز ، والكناية ".

أما الفرع الثالث من فروع البلاغة وعلومها هو**" علم البديع"** الذي عرف بأنه **" علم يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، وهو ضربان معنوي ولفظي".**

وبذلك تبرز الناحية الجمالية في الكلام ، مما يزيد من تمكين والتأثير في المتلقي ويتوفر هذه العلوم الثلاثة ، من علم البيان وعلم المعاني ، وعلم البديع " على خاصية الاقناع والتأثير ، إضافة الى الامتناع الناتج عن سعي المتلقي في فك رموز الكتابة والاستعارة للوصول الى المعنى أو قصد المتكلم ، فكل خطاب يهدف اهتماما مناسبا يليق بأهميته الى الاقناع بقضية معينة يحاول المتحدث فيها ايصال المعنى الى مخاطبيه مستخدما كل وسيلة ممكنة على اقناعهم ، وتأني الصياغة اللغوية البلاغية لتساعد على الاقناع والامتناع ، فالبلاغة استعمال خاص للغة فلا يكفي ، أن نعرف ماذا نقول ، بل لا بد أن نعرف كيف نقول ،ببيان بليغ ، حتى نؤثر في عواطف السامعين [1].

ومن خلال ما تطرقنا اليه ، يتبين بأنه ، قد كان للحجاج حضور في البلاغة العربية ضل يتجاذبها جانبان أساسيان ، جانب التواصل ، والابلاغ ، وجانب الفن والجمال والدلالة والابلاغ بما يعنيانه من دقة ومباشرة ، ووضوح واقتناء والفن والجمال بما يفرضانه ، من غموض وتخيل وامتناع .

1- المرجع نفسه ، ص نفسها.

يعد الحجاج من بين أهم النظريات التي تهتم بها التداولية الى جانب نظرية التلفظ و أفعال الكلام ، وهو يرتكز أساسا على دراسة الطريقة والأسلوب اللذان يتبناهما المتكلم للتغير من معتقدات المتلقي ، وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله اليه كالإرشادات والعبارات ، والحجج ، إذ أنه لا يمكن لأي مخاطب سواء أكان شاعرا أو ناثرا ، أن يستغني هذا الأسلوب الذي يهدف الى استهواء المتلقي وإستمالته .

وتتجلى أهمية نظرية الحجاج في أنها حاولت أن تتجاوز النظرة الضيقة التي ترى بأن الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار لتهتم أكثر بالجوانب التأثير الإقناعية وذلك بحمل المتلقين على تبني وجهة نظر أو القبول بها.

والحجاج ، ثابت في الخطاب أيا كان نوعه أو جنسه أو شكله بدءا من حوارتنا اليومية القادية الى أعلى وأرقى النصوص الابداعية ، حتى أن بعض التداولين ، ذهب الى أن النصوص والخطابات ذات خلفية حجاجية ، وبكل آليات إشتغالها في التواصل نظرا لصعوبة رصد كل أشكال الخطاب وكل متغيرات المقام ، وكافة المتقبلين ، مادام الحجاج مظهرا من مظاهر عصرنا الحاضر ، ويؤسس للشك والإحتمال ، يهدف الى خلق الحجج ، والأدلة والبراهين .

فلا حقيقة الا بربطها بالآخرين، وإن أدى ذلك الى الاختلاف، الأمر الذي يقتضي منا مسألة المصطلح لاستخلاص المفاهيم الثانوية فيه بالنظر الى الحجاج كآليات تشكل الخطاب ، وكخطاب في الآن ذاته.

أولا : ماهية الحجاج وخصائصه .

1 - مفهوم الحجاج : « Argumentation »

* لعل الرجوع الى المعاجم العربية ، يمدنا بنظرة ندرك من خلالها الاستعمال اللغوي لمفهوم الحجاج ، وتبين أن الحجاج والمحاجة مصدران للفعل حاجج ، جاء في لسان العرب:

" حَاجَجْتُهُ أحاجّه حِجَاجًا و مُحَاجّةً حتى حَجَجْتُهُ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها و الحُجّة البرهان ، وقيل الحجّة ما دفع به الخصم ".

وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ ، والتَحَاجُ : التخاصم ، وحاجّه مُحَاجَةٌ وحجاجًا نازعه الحجةُ ،واِحْتَجّ بالشيء اتخذه حجّة ، والحجّة الدليل والبرهان "

أما ابن فارس في كتابه " مقايس اللغة ، فيعرف الحجاج على النحو الآتي : " يقال حاججته فلان فحججته أي غلبته بالحجّة ، وذلك الظفر يكون عند الخصومة ، و الجمع حجج والمصدر حجاج "

وكذلك تناول الزمخشري كلمة "حجاج " في كتابه أساس البلاغة حيث يقول " حجج احتجّ على خصمه بحجّة شهباء ، وبحجج شهب وحاج خصمه محجوج ، وكانت بينهما محاجّة وملاجّة"

يظهر لنا من خلال هذه التعاريف الثلاثة ،أن اللغوين العرب القدامى يشتركون في نقطة واحدة هي أن الحجاج يكون أثناء المخاصمة بين شخصين حيث اعتبروا الحجة كوسيلة يستعملها المتكلم للتغلب على خصمه وهذا ما ورد في التعريف الأول " الحجّة ما دفع به الخصم "[1]

1- ابن منظور ، لسان العرب ، ط 1، مادة (حجج)

وفي التعريف الثاني " ما حاججت فلان فحججته أي غلبته بالحجّة ..الخصومة "

وفي التعريف الثالث :" احتجّ على خصمه بحجة شهباء " ولهذا فالحجاج عند العرب القدامى يعمل طابع المنازعة والخصومة نظرا لما يحدث بين شخصين من محاورة .

تذهب معظم التعاريف الاصطلاحية للحجاج ، الى أن الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبيه بين المتكلم والمستمع حول قضية ما له ، متكلم يدعم قوله بالحجّج والبراهين لإقناع الغير ، والمستمع له حق الاعتراض عليه ان لم يقتنع ، ولذلك يعرف طه عبد الرحمن الحجاج على أنه :

" كل منطوق به موجّه الى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق الاعتراض عليها"[1].

ويتوسع هذا الكاتب أكثر في مفهوم الحجاج في كتابه:**" في أصول الحوار، وتجديد علم الكلام "** وذلك من خلال مقارنته بالرهان حيث أعطى للحجاج صفتين رئيسيتين **" فه و تداولي لأن طابعه الفكري مقامي اجتماعي ، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية ، و توجهات ظرفية ويهدف الى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية إنشاءا موجها بقدر الحاجّة"** فالصفة التداولية للحجاج تمنح الفرصة للجميع للاشتراك فيه دون استثناء ومن أي مستوى على عكس البرهان الذي يتصف بالقواعد وتمايز في المستويات[2] .

1- طه عبد الرحمن ،اللسان ، والميزان أو التكوثر العقلي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،ص 226.

2- طه عبد الرحمن ،في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، ط 1،ص 65

أما الصفحة الثانية للحجاج فهي كونه **" جدلي لأن هدفه اقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع و أغنى من البنيات البرهانية الضيقة ، كأن يتبنى**

الانتقالات فيه لأعلى صور القضايا وهدها ، كما هو شأن البرهان بل على هذه الصور مجتمعه على مضامينها أيما اجتماع ، وأن يطوي في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج "[1]

فمن خلال هذه الصفات نجد أن الحجاج أوسع من البرهان ذلك أن البرهان منحصر في قواعد معروفة فهو كآلة تعيد فقط هذه القواعد على عكس الحجاج الذي يتسم ببنيات واسعة ويتيح مقدمات كثيرة للحصول على نتائج كثيرة.

إن هدف الحجاج هو هدف اقناعي ، كما قال طه عبد الرحمن سابقا ، ويذهب الى نفس هذه الفكرة عبد الهادي بن ظافر الشهري، حيث عرف الحجاج بربطه بالإقناع: **" الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها استراتيجية ، فليس هناك مرسل يرسل خطابه هباءا الا ومن ورائه هدف معين وهو "الاقناع**[2] الاستمالة والتأثير عن طريق الحجج اللغوية وحتى غير اللغوية كالإشارات والإيماءات.

أما عبد السلام عشير : فيراه الأسلوب الأنجح لمخاطبة العقل واقناعه بعيدا عن الإغواء والمغالطة ، لأنه أسلوب يتجه نحو مخاطبة العاطفة ، فيلعب على الجوانب النفسية والمشاعر الحساسة فحين أن الحجاج يتجه نحو المخاطبة العقل وآلياته العقلانية إكمالا للحواس والإدراك والحدس .[3]

1- المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب : مقارنة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، ط 1، ص 456.

3- المرجع نفسه ، ص نفسها.

وبالتالي يكون الحجاج بحثا من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة بهدف دفع فاعلين معنيين في مقام خاص الى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما.[2]

وبهذا فهو فعل دفع من جهة ، وفعل ابعاد من جهة أخرى ، أي أن تفريغ الذهن من كل الاقتناعات السابقة وملئه بما يراد من إثباتات وحجج.

وكل سياق يستلزم خيارات معينة دون غيرها ، مما يجعل الحجاج في شكله النهائي : " ترجيح من بين خيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانات لغوية الى ، يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين .

نلمح من خلال التعاريف السابقة أن الحجاج يعتمد أساسا على مرسل ومرسل اليه حيث أن الدور الكبير في هذه العملية يعود الى المرسل نظرا لما يبذله من جهود ذهنية للحصول على حجج مقنعة ، وعلى المرسل أن يكون بارعا في اختيار هذه الحجج.

2- خصائص الخطاب الحجاجي :

إذا كان الحجاج فاعلية خطابية تستهدف الاقناع والافهام ، فإن بنيته تختلف عن بنية الاستدلال البرهاني[3]، وذلك راجع لإنبنائه على قوانين منطقية طبيعية، وما يميزه

1- ينظر ، عشير عبد السلام ، عندما نتواصل نغير مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج افريقيا ،ا لشرق ،2006 ،ص 19.

2- ينظر ، الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص 453.

3- القارصي محمد علي ، بلاغة الحجاج من خلال نظرية المساءلة لمثال ماستر كلية الآداب ، منوبة ، تونس 1998 ،ص 33.

أن الإستدلال فيه يقوم على سرد الحجج التي تمتاز بحسن الاختياروالترتيب لتحقيق الاقناع والتأثير ، عدم خضوعه للصرامة المنطقية التي يتصف بها الاستدلال البرهاني.

وقبل أن نتطرق الى خصائص الخطاب الحجاجي ، ينبغي أن نأخذ فكرة عن الخطاب.

2- أ : مفهوم الخطاب : Discours

كثيرا ما اقترن الخطاب بأوصاف ، مثل الخطاب السياسي ، الصوفي ، التاريخي الاجتماعي ، مما يضفي غنى وسعة في التصنيف والتعريف .

وقد ورد لفظ خطاب في القرآن الكريم،بصيغ متعددة منها: صيغة الفعل في قوله تعالى: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ والمصدر في قــوله : [1]

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ [2]

وعموما الخطاب مصدر الفعل خاطب ، يخاطب ، خطابا ، ومخاطبة ، بمعنى توجيه الكلام الى الغير بقصد تبليغ مقصود ما .[3]

، أي تبادل الكلام بين المتخاطبين [4] وورد في معجم الوسيط : الخطاب : الكلام لتحقيق التواصل .

1- سورة الفرقان ، الآية ، 63.

2- سورة ص ، الآية ، 19 .

3- ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، مج 1 مادة خطب ،ص 320، 321.

4- شوقي ضيف ، المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط4 ، 1428 ،2004 ، ص 243.

أما في الدراسات اللغوية الحديثة ، فلم يحفظ بتعريف شاق، نظر لاختلاف الدراسات اللغوية ، اذ ورد بوصفه تجاوز للجملة أو الملفوظ الموجه الى الغير ، وهو يطابق

الكلام ، المخالف للغة حسب ثنائيات تسوسير De soussure .

جاء الخطاب في الأدبيات اللسانية مقابلا بمفهومين هما الجملة والنص ولتوضيح الشرق أكثر نستعين بالمخطط أو الترسيمة الشجرية التي أوردها المتوكل .[1]

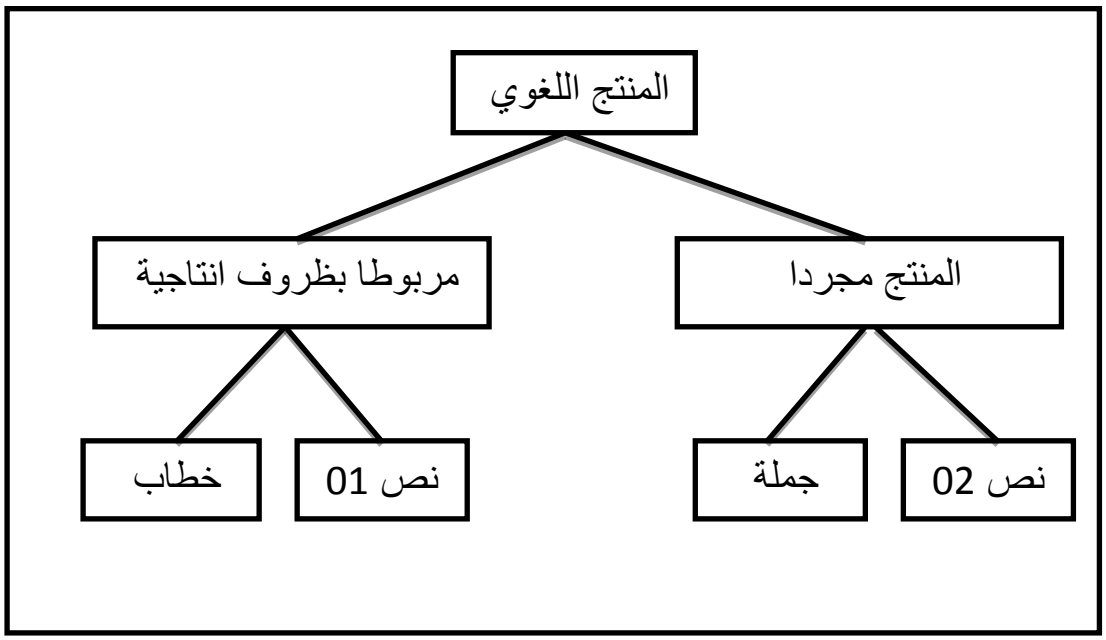

فيكون الخطاب : **" كل ملفوظ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات "**

يتضح من هذا أن الخطاب يشمل الجملة ، يعتمد معيار التواصل بين طرفي التخاطب لا يدخل معيار الحجم في تعريفه سواء كانت نصا كاملا ، أو جملة مربوطا بسياق وظروف انتاجه.[2]

1- المتوكل أحمد ، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار الأمان ، الرباط ، ط1 ،1431ه ،2010 ،ص22.

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

وبما أننا ننطلق من فكرة بديهية هي أن كل كلام موجه الى الغير خطاب، وكونه

خطابا يقتضي أنه اقناع و تأثير ، لأن الخطاب عند بنفنست « Benveniste » **" كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع"**[1] ، فإنه سيكون مجالا للمحاورة والتفاعل والتفاوض ، باعتباره ممارسة تجري في السياق.

تقتضي دراسة الخطاب تحديد التأثير الذي يستهدفه المخاطب، والمتلقي (المخاطب) وكذا الهدف من الخطاب (أي ما يرمي اليه المخاطب) من توجيه ، أوحث ،أو اقناع وهذا التأثير لا يتم الا بتوفي المخاطب جملة من الخصائص ترمي الى اقناع المخاطب واستمالته نجملها في الآتي:

*** خاصية البناء والدينامية :**

تأتي فعالية الخطاب الحجاجي من طريقة بنائه وتفاعل عناصره ودينامية مكوناته فالاقتصاد في الأدلة الحجاجية مثلا يكون له دورهم في عملية الاقناع ، اذ المبالغة في سرد الحجج الملائمة[2] ، أي تقديم الحجج في غير مناسبه ، يفقد الحجاج فعاليته وقوته للموضوع.

ويتميز عن غيره من الخطابات ، بكونه خطابا مبنيا وموجها وهادفا ، مبنيا بناءا استدلاليا يتم فيه اللجوء الى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل ، وموجها مسبقا بظروف تداولية ، تتطلب الدفاع عن الرأي أو الانتصار لفكرة أو نقاشا حجاجيا بهدف تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد ،أو انتقاد[3] .

1- حمو الحاج ذهيبة ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ذر الأمل للطباعة والنشر ، 2005 ، ص143.

2- ينظر ، عبد السلام عشير ، عندما نتواصل بغير ،ص 129.

3- ينظر ، عبد الرحمن طه ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص226.

وحتى تكون هذه الحجج فعالة لابد من مناسبتها للسياق العام للخطاب ، وأن تترتب عنها نتائج مؤثرة[1] .

*** خاصية التفاعل :**

بما أن الحجاج أصل في كل تفاعل كائنا ما كان فإنه ينبني على مبدأين معرفيين هما مبدأ الإدعاء، ومبدأ الاعتراض، يؤديان الى اختلاف في الرأي أو في الدعوى، ويدفعان الى الدخول في ممارسة الدفاع أو الانتصار للدعوى وهو ما يؤدي الى تحقيق نوع من التجاوز الظاهر أو التجاوز المفترض (الذات الاعتبارية) للمتكلم والمخاطب.

وقد ينشأ عن هذا التزاوج الظاهر والاعتباري للمتكلم والمخاطب ، إزدواج في مختلف العمليات الحجاجية وهي :[2]

أ- ازدواج القصد : أي حصول الوعي بالقصدين عند كل منهما .

ب- ازدواج المتكلم : كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم ، أو كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع.

ج- ازدواج في السياق : يحتوي سياق انشاء القول على نصيب من سياق التأويل كما يحمل سياق التأويل نصيبا من سياق الانشاء.

وهكذا تكمن أهمية التفاعل المباشر والتفاعل الغير المباشر بين المتكلم والمستمع في ضرورة الالتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما

*** خاصية الالتباس :**

إذا كانت اللغة الطبيعية أصلا لكل غموض دلالي، ومجال لكل انزياح ومجاز [3]

1- المرجع السابق ،الصفحة نفسها.

2- ينظر ، عبد السلام عشير ، المصدر السابق ، ص 130.

3- ينظر، طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ،ص 131.

لساني ، فإن الأمر سيكون معقدا ، وعسيرا لفهم في العملية الحجاجية أو قل أن الحجاج هو عمق الالتباس ، وعلى الرغم من ضرورة التقيد بآليات والتقنيات

التي يعتمدها الحجاج لتشكيل القول ، فإن المجال يبقى مفتوحا أمام مهارة المتكلم في فن القول ، وإظهار كفاءته الابداعية لكي يصل بسهولة الى افهام الآخر وتقريبه من طروحاته حتى يتسرب الى ذهنه وعواطفه وعقله ، بغية اقناعه والتأثير فيه .[1]

تقوم ماهية الحجاج في كونه :" ينطوي على قدرة من الالتباس في الوظيفة ، هذا الالتباس الذي لا نجد له نظيرا في غيره من طرف الاستدلال ، ولولا تضمن الحجاج لهذا الالتباس ، لما تميزت طريقه عن طريق البرهان ، فهذا الالتباس هو إذن الفاصل بين الحجاج والبرهان "[2]

فالالتباس ليس بظاهرة عرضية أو مصدر تشويش ، بل يشكل مقوما من مقومات التواصل البليغ ، والأصل في الالتباس الحجاجي هو أن يجتمع فيه اعتباران اثنان ، لا يجتمعان البيئة في البرهان ،هو اعتبار الواقع ، واعتبار القيمة.

فالعبارة في الحجاج اذا اقتصرت على ظاهرها جاءت عادية أو عارضة في القول بحيث لا يعيرها المستمع أدنى اهتمام ، أما اذا جملت معها اشارات رمزية فإنها تتحرك آليات الفهم والتأويل لدى المخاطب ، وتدفعه نحو اعتقاد ما .[3]

وهكذا يتضح أن حقيقة الخطاب ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وانما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء ، والاعتراض، بمعنى أن ما يحدد لخطاب[4]

1- المرجع السابق ،ص230.

2- المرجع نفسه ،ص نفسها.

3- ينظر ، عشير عبد السلام ، عندما نتواصل نغير ،ص 131.

4- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، ص226.

انما هو العلاقة الاستدلالية ، وليس العلاقة التخاطبية وحدها فلا خطاب بلا حجاج ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المدعي ، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المعترض.

وإذا ثبت أن الحجاج هو الأصل في الخطاب ، فهذا لا يعني أن كل خطاب بالضرورة حجاج ، فقد لا يشكل الحجاج هدفه الأساسي والمباشر ، وحتى وان كانت ثمة تعابيرا حجاجية فإنها تأتي بشكل عرضي ، فالخطاب اليومي الذي يجريه الناس فيما بينهم من أجل التعارف ، أو نقل المعلومات ، أو تبادلها لا يكون من أهدافه تقديم حجج أو أدلة على موقف أو الدفاع عن أطروحة أو حمل الآخر على الانخراط في عمل ما.

كما يؤكد بلونتان : Plantin، في قوله :" من التسرع الاعتقاد أن الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط ، فهناك ، كثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية[1]

ويتم التعامل مع الخطاب الحجاجي على مستويين:

المستوى الأول : مستوى خارجي كلي حيث يشكل الخطاب في كليته حجة.

المستوى الثاني : مستوى داخلي حيث يتجسد الحجاج في الأفعال الكلامية و الروابط والعوامل الحجاجية والاستعارات والسلم الحجاجي .

ولقد أصبح واضحا وجليا لدى الدارسين في النظريات التأويلية المعاصرة للخطاب في اللسانيات التداولية أن لمقاصد المخاطب أهمية بالغة في توجيه وتحديد معنى الخطاب.[2]

1- ينظر ، عشير عبد السلام ، عندما تتواصل نغير ، ص 125.

2- بوقرة نعمان، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،عدد407، 2005م،ص01.

ثانيا : أصناف الحجاج ونظرياته.

1- أصناف الحجاج :

يصنف الحجاج الى صنفين هما : الحجاج التوجيهي، والحجاج التقويمي ،باعتبار استخصار حجاج المخاطب من عدمه ،ذلك أن المخاطب قد يكتفي بإنتاج خطابه دون

الاهتمام بما لدى المخاطب من حجج قد يواجهه بها ، أو بأن يضع تلك الحجج في الحساب ، فيبني عليها خطابه.

1- أ – الحجاج التوجيهي:

والمقصود به اقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل بأقواله من حيث القاؤه لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها ، فتجده يولي أقصى عنايته الى قصوره و أفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة.

غير أن قصر اهتمامه على هذه القصور والأفعال الذاتية يفضي به الى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال ، هذا الجانب الذي يصله المخاطب ويجعل هذا الأخير ممتنعا فالمخاطب في هذا النوع من الحجاج يكتفي بقصده في ،[1]بحق الاعتراض تكوين حجاجه وتنظيم خطابه ، فلا يجرد من ذاته ذاتا أخرى تمثل المخاطب ، في محاولة لتوقع اعتراضاته واستباق حججه لدحضها ويصل الى اقناعه ، وكأنه لا يقيم اعتبارا للمخاطب و يكتفي بمجرد إيصال حججه إليه .

وانطلاقا من هذا التعريف يمكن أن نستخلص أهم مميزات الحجاج التوجيهي:

- يهتم المخاطب فيه بأقواله ، ولا يضع في الحسبان رد المخاطب لها.

[2] - يأخذ بعين الاعتبار فعل الادعاء ويلغي رد فعل الاعتراض.

1- ينظر ،طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان ،ص 227

2- المرجع نفسة ، صفحة نفسها.

- يولي أقصى عناية الى قصده و أفعاله .

[1] - يلغي المستدل دور المخاطب ويمنعه من حق الاعتراض ولا يقيم له اعتبارا.

1- ب- الحجاج التقويمي :

والمقصود به حجاج على خطاب متوقع من مخاطب متخيل يفترض المتكلم وجوده تحسبا لأي اعتراضات قد يواجهه بها بالاستناد على معرفته به وبالسياق ، فيراعي بذلك الهدف الذي يبتغيه ن وهو الاقناع ، والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المخاطب والتي يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه.

ويعرفه طه عبد الرحمن بقوله : " والمقصود بالحجاج التقويمي هو اثبات الدعوى بالاستناد الى قدرة المستبدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه ، فهاهنا لا يكتفي المستبدل بالنظر في فعل القاء الحجة الى المخاطب واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط ، وما يقتضيه من شرائط ، بل يتعدى ذلك.

الى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقي لما يلقي فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به ، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا امكانات تقبلها ، واقتناع المخاطب بها وهكذا فان المستبدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه ، مراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعامليه ، حتى كأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه " وبذلك يقوم المستدل بتقديم حجته من خلال اقامة حوار حقيقي بينه وبين المخاطب وفق مبدأ التعاون ، والتواصل آخذا في الاعتبار فعلي الالقاء والتلقي معا.[2]

1- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

2 / أهم نظريات الحجاج :

2- أ – الحجاج في الدراسات الغربية .

لا مناص ونحن نعرض أهم النظريات التي اهتمت بالحجاج من الاشارة الى أن جل من اهتموا بالتاريخ لهذا البحث قد فصلوا فيه بين عهدين أما الأول فيمتد من

الدراسات الاغريقية خصوصا مؤلفات أرسطوا حول الخطابة ، أما الثاني فكانت انطلاقته مع منتصف القرن العشرين لما بعث كل من تولمان ، وبرلمان وتيتيكاه الحجاج، وأرجعناه الى صدارة ما يهتم به .

أ – 1- الحجاج عند أرسطو(الحجاج الفلسفي).

تعد البلاغة الأرسطية أساسا معرفيا لأغلب النظريات البلاغية واللغوية التي جاءت بعدها،والنظرية الحجاج خاصة ، ان خروج ارسطوAristote فما سبقه عن البلاغين الأفلاطونية (الأستاذ) ، والسفسطائية (الخصوم) ، قد قاده الى تأليف آثاره الخالدة حول الخطابة وهي آثار انفصل فيها صاحبها عما سبقه ليؤسس رؤية هيمنت على الدراسات الحجاجية الى حدود أيامنا هذه .

رد أرسطو الحجج الى ثلاثة أبعاد ، فثمة حجج ترتكز على طبيعة المخاطب L'éthos وحجج ترتكز على مضمون الخطاب Le logo ، وحجج ترتكز على مشاعر السامعين Le pathos .

[1]قاده تصنيف الجمهور الى التمييز بين نوعين من الحجاج

---

* أفلاطون Platon ، فيلسوف يوناني (427 -347-384 قبل الميلاد) أحد أتباع سقراط كتب حوالي (30) ثلاثين محاورة (المأدبة ، فيدون ، الجمهورية...).

1- الريفي هشام عند أرسطو ، ضمن فريق الحجاج ،ص126-127 .

ينظر أيضا ،الحجاج في البلاغة المعاصرة ، الطلبة محمد سالم ، محمد الأمين ،دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت ، لبنان ، ط1 ،2008 م ،ص 53 ،54.

النوع الأول : الحجاج الخطابي.

وهو حجاج موجه يشمل في بناء الحكم ، وتوجيه الفعل الى الجمهور ذي أوضاع خاصة ، في مقامات خاصة ، وهو هنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي ، وإنما يتحداه الى التأثير العاطفي ، والى إثارة المشاعر والانفعال.

النوع الثاني : الحجاج الجدلي.

[1] ومداره مناقشة الآراء لغاية التأثير العقلي المجرد .

أ- 2- الحجاج عند برلمان وتيتيكاه :

ومن بين أهم الكتب التي اشتهر بها برلمان وتيتيكاه في الحجاج ، هو كتاب مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة – والهدف من هذا الكتاب هو اخراج الحجاج من سيطرة الخطابة والجدل الذي ظل لفترات طويلة مرادفا للمنطق نفسه ، لذلك حاول فيها لباحثان اعادة صياغة مفهوم الحجاج، ربط الباحثان الحجاج بالحوار والعقل ، لذا فالحجاج عندهما معقولية وحرية ، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة وبين أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية واللا معقول اللذان يطبعان الخطابة عادة ، وبعيدا عن الالزام ، والاضطرار اللذان يطبعان الجدل [2]ومعنى ذلك أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره .

وموضوع الحجاج عندهما هو : **" دراسة التقنيات الهادفة التي حث النفوس على التسليم بالأطروحات المعروضة عليها ، أو تقوية ذلك التسليم ، كما تفحص أيضا [3]الشروط التي تسمع بانطلاق الحجاج ونموه ، وكذا الآثار المترتبة عنه"**

1- ينظر ،المرجع السابق ،الصفحة نفسها.

2- ينظر ، صولة عبد الله ، الحجاج ، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج ،الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه ، ضمن كتاب ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم ، اشراف حمادي صمود ،جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية ، تونس ،كلية الآداب ، مونية ،ص 288.

3- محمد العمري ، بلاغة الحوار للمجال والحدود ، مجلة فكر ونقد.

www . fikr wanakd daljo briabed .net (n 61- 04 alumari .htm)

يرتكز التعريف على اقناع المتلقي ، وجعله يقبل بالحجج المقدمة ومن ثم دفعه الى القيام بعمل ما .

[1] أما تقنيات الحجاج فقد ردها الباحثان الى تقنيتين رئيسيتين.

*** تقنية الوصل : Procedé de liaison**

وهي قائمة على التأليف بين المتباعد من العناصر لردها الى بنية واضحة من شأنها أن تتيح لنا امكانية تقويم أي عنصر بواسطة غيره من العناصر تقويما ايجابيا أو سلبيا.

*** تقنية الفصل : Precédé de dissuasion**

وهي تقنية قائمة على كسر عرى التأليف بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينهما وتتأسس على ثنائية الظاهر L'apparence ،والحقيقة La réalité فالظاهر يرد الأشياء الى ماهو معاين والحقيقة تكسبها هوية جديدة هي بمقتضاها تعبير عن الصورة المثلى لتلك الأشياء كما استقرت الأذهان .

أ- 3- الحجاج عند ميشال مايير نظرية المساءلة :Le questionnement

يرتبط الحجاج عند مايير بطبيعة الكلام في وظيفته التساؤلية ، ذلك أن المساءلة من حيث هي عملية فكرية مؤسسة على سؤال وجواب يستدعي نقاشا يولد حجاجا ويبدوا أن المحاجة موجودة بالقوة في التداول اللغوي ، اذ لا يخلوا خطاب منها سواء كان شفويا أو كتابيا.

ويأتي الحجاج في هذه النظرية بمظهرين ، أحدهما مصرح به وهو السؤال ، وثانيهما ضمني تعبر عنه الامكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد، فيكون نصفه للمتكلم [2]

1- صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،دار الفارابي ،بيروت ، مكتبة المعرفة ، تونس ، كلية الآداب طوبة ، تونس ، ط 2 ،2006 ص 324.

2- ينظر ، الطلبة محمد سالم محمد الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص 128 – 131

وهو الجانب المصرح به ، ونصفه للسامع وهو الضمني .

أما عن مفهوم الحجة فهي **" جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن السؤال مقدر يستنتجه المتلقي من ذلك الجواب "** [1]

ومنه فإن الحجاج عند مايير هو إثارة الأسئلة ، وهذه الأخيرة هي التي يبنى عليها الخطاب.

أ- 4- الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر:

اعتبر الباحثان الحجاج كامنا في اللغة متأتيا من بنية الأقوال لا من محتواها الخبري الذي يظل ثانويا ، فلا دراسة للحجاج خارج نطاق دراسة اللغة ، وما يجعله فعلا كلاميا Acte de langage ينزل في إطار تداولي ، يجعل اللغة تحمل في ذاتها بعدا حجاجيا بناءا على ما يحتويه من فاعلية توجيهه ، تتخطى حدود الإبلاغ الى التوجيه الذي يستهدف السامع أو المتلقي ، بحمله على مارامه الخطاب من مقاصد .

2/ب – جذور الحجاج في التراث العربي :

إن دراسة عملية التواصل والحجاج ، والإقناع ، تعود جذورها الى الدراسات النظرية للجاحظ ، وحازم القرطاجني ، والسكاكي وغيرهم ، باعتبارها تهتم بالأثر الناتج عن الرسالة ، والشروط التي تجعل الخطاب ناجحا ، وتحفل بالمرسل والمتلقي والرسالة وعملية التأثير ، والقصد ونويا المتكلم ، والفائدة من الكلام والإفهام [2].

1- المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

2- ينظر القارصي محمد علي ، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة ، ص 395.

وقد ذهب محمد العمري في كتابه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها الى أن للتداولية الحديثة بعد جاحظي في أساسه ، وتحظى نظرية التأثير والمقام حاليا بعناية كبيرة في الدراسات السيميائية ، ومن ثم الشروع في اعادة الاعتبار الى البلاغة العربية تمد عنوان جديد هو التداولية.[1]

وتتجلى جذور الحجاج عند الجاحظ من خلال تقسيميه للبيان الى ثلاث وظائف واهتماماته أكثر بالوظيفة التأثيرية ، التي تمثل جانبا مهما في التداولية .

وأرجع وظائف البيان الى ثلاث وظائف أساسية وهي :

01- الوظيفة الاخبارية المعرفية (حالة حياد ، إظهار الأمر على وجه الاخبار قصد الإفهام)

02- الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب)

03- الوظيفة الحجاجية (حالة الخصام) اظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار ويمكن أن تناقض الى النظرية البيانية عند الجاحظ اعتمدت مفهومين يعدان من صميم البحث هما التأثير والبيان.

وإضافة الى القصد والافهام ، يشير القرطاجني الى قضية التأثير (الاقناع) بين المتكل والمتلقي ، ويرى أن ضروري في كل تواصل ، ويقسم ردود الفعل التي يثيرها المتكلم في المخاطب الى عملية سلوكية ووجدانية ، ويتوفى المتكلم التأثـير في الآخر عن طريق ملفوظات منطقية أو موهمة بالمنطقية ، وهذا الطرح نجد له تنويرا [2]من تنويرات حازم القرطاجني في قوله :**" وانما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما**

1- ينظر ،محمد العمري ، البلاغة أصولها وامتداداتها ، المرجع السابق ، ص 293.

2- المرجع نفسه ،ص 212 ، ينظر البيان والتبين للجاحظ ، ج1 ،ص 76.

أنه حق بتمويهات و استدراجات ترجع القول أو المقول به ، باعتبار المخاطبات [1]التي يحتاج فيها الى تقوية الظنون في شيء"

ولذلك فإن الحجاج ليس وسيلة إبلاغيه فحسب، ولكن له غاية هامة وهي التأثير في الآخرين وحملهم على الاقتناع برأي ما منعهم بالحجج .

و أما فيما يتعلق بظروف التخاطب وسياقات الكلام ، فإن لها دورا مهما في عملية الابلاغ ، ذلك أن طبيعة التأليف تتأثر بحسب المقامات والأحوال التي ترد فيها ، يقول في ذلك السكاكي :**" لا يحضى عليك أن مقامات الترهيب ، ومقامات الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناءا على الاستخبار أو الانكار..."**[2]

وفيما يخص محتوى الخطاب الحجاجي ، أو الرسالة اللغوية ، فإن الأمر يتعلق بمختلف الآليات اللغوية والبيانية التي يوظفها المخاطب ، لتحقيق الغاية المرجوة ، وهذا ما نجده ماثلا لدى السكاكي في معرض حديثه عن الانشاء الاخباري ، حيث أن المخاطب يأخذ بعين الاعتبار كافة الظروف والأحوال حتى يكون خطابه ملائما وأكثر اقناعا وتأثيرا في المتلقي.

*** المسار التاريخي للحجاج عند العرب حديثا:**

تعتبر الأفاق والمشاريع العربية الحديثة ،أفاقا معتبرة فقد جاءت مسطرة في دراسات و أبحاث[3] ، وكتب وترجمات ومقالات متفرقة، بين باحث وآخر، فهو لم يطلعونا على

1- ينظر ، حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ،دار الكتب الشرقية ، تونس ،ص 63.

2- السكاكي ، مفتاح العلوم ، المرجع السابق ،ص 253.

3- المرجع نفسه ، صفحة نفسها.

آراء مغايرة للآراء الغربية ، ربما الا في بعض التطبيقات التي تختلف باختلاف النصوص وسنحاول أن نقتصر على بعض الباحثين العرب ، وماذا أضافوا للنظرية الحجاجية .

يعد **" الدكتور أبو بكر العزاوي"** ، من أصحاب المشاريع الجديدة للدراسات اللغوية والحجاجية خصوصا ، بحكم انفتاحه على النظريات الغربية ، ونجد من أهم مشاريعه

الحجاجية مجموعة من الكتب والمقالات ، ومن أهم كتبه **" اللغة والحجاج ، والخطاب والحجاج ،الحوار والحجاج..."** ، ففيما يخص كتابه اللغة والحجاج ، فقد حاول الاحاطة بتحديدات أساسية لنظرية الحجاج اللغوية .

وأثار في الدراسة أيضا نظرية السلم الحجاجي الذي يمكننا من تحديد قيمة الأقوال الحجاجية ، كما آثار أيضا موضوع الروابط الحجاجية ومدى تعلقها بالمبادئ الحجاجية وأعطى أمثلة بروابط وعوامل حجاجية في اللغة العربية.[1]

أما **" طه عبد الرحمن "**، فلقد تميزت نظرية الحجاج بطابع فلسفي لأنه يستند الى المنطق ، فقد زاوج بين القديم العربي والحديث العربي ، عقد بابا في كتابه **" اللسان والميزان "** سماه **" الخطاب والحجاج"** ، وكما ذكرنا آنفا أنه عرف الحجاج من مبدأين **" مبدأ الادعاء ، ومبدأ الاعتراض"** .

و **" محمد العمري "** فقد نظر للحجاج بطابع اقناعي ، وهو تأثر بالفلاسفة اليونانيين وتجده واضح في كتابه " في بلاغة الخطاب الإقناعي " ، حيث اعتمد على الدعائم الأرسطية لبلاغة للخطاب ، والذي يربطها أيضا بالإقناع .[2]

1- ينظر ، أبو بكر العزاوي ، الحجاج واللغة ، العمدة في الطبع ، ط 1 ،2006 ،ص 14- 15.

2- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

، وهي محاورة بين الأنداد، ويكثر فيها [1] وقد ركز خصوصا في الخطابة والسياسة النصح والمثاورة ... والخطابة الاجتماعية وتكون فيها خطب في موضوعات اجتماعية تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع وخطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة في المسارات والأخران وتعتمد على الحجج المقننة والأسلوب الظليل والمؤثر[2]

وفي النهاية نصل الى القول بأن الحجاج ، هو الاقناع حد ذاته ،لأنه يشكل الهدف الأساسي الذي ينشد تحقيقه ، مهما تنوعت أساليبه وتقنياته و أنواعه كما يكشف عن

شخصية صاحبه ، حين تعامله مع اللغة الطبيعية بخلاف البرهان ، فيختار المرسل من الحجج ما يناسب السياق التواصلي ليضعها في قالب لغوي مناسب عقل المرسل اليه.

وبذلك تعددت نوايا النظر اليه باختلاف الدارسين له ، كما تجلت آثاره أيما تجلى في الدراسات التراثية المختلفة ، ثم اكتسب ميزات وخصائص أهلته لأن يرى الى مرتبة النظرية .

وبالرغم من أن مفهوم الحجاج المنبثق عن اللسانيات الحديثة عصي عن الضبط بالنظر الى تعدد مظاهره ، واستعمالاته ومرجعياته ، فإننا نشير في هذا المقام الى أن النشاط الحجاجي ليس سوى فعل غائي يهدف الى الحث والتحريض وتغير أفكار المتلقي ومعتقداته.[3]

1- ينظر ،طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان ،المرجع السابق، ص 226.

2-ينظر ، محمد العمري ،في بلاغة الخطاب الاقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ، ط1 ،1986 ،ص 9

3- المرجع نفسه ، ص نفسها.

الفصل الثاني

بلاغة الحجاج في الأحاديث النبوية

أولا : الحجاج في الحديث النبوي .

أ – الحديث النبوي من الوجهة البلاغية.

ب- صور الحجاج في الأحاديث النبوية.

ثانيا : حجاجية الاستعارة في الأحاديث النبوية .

أ- حجاجية الاستعارة.

ب- صورها في الحديث النبوي الشريف.

أولا : الحجاج في الأحاديث النبوية .

01- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية :

من خلال ما تطرقنا اليه سابقا، فقد كان للحجاج حضوره في البلاغة العربية، والتي شكل البرهان والاقناع أحد أهم مباحثها ، ويمكن القول بأن البلاغة العربية ضل يتجاذبها جانبان أساسيان ، جانب التواصل والابلاغ ، وجانب الفن والجمال.

وإن صور الحجة في البلاغة العربية تتناسب طرديا من حيث نوعها مع طبيعة هذه البلاغة ذاتها وبالنظر الى الأسباب التي سيتم ذكرها ، التي تبين سبل إقامة العلاقة الوطيدة بين الحجة والبلاغة وعليه كانت صور الحجة البلاغية هي :[1]

* **القياس :** وهو قياس عقلي خطابي ، بلاغي وذلك انطلاقا من السبب الأول الذي ذكرناه.

* **التمثيل :** وهو عمدة الحجج البلاغية ويندرج تحت كل الصور التي تقوم على المشابهة مثل ، التشبيه والاستعارة .

* **الاستشهاد :** ويعتمد على ايراد الأقوال الموثوق بها عند السامع على وجه الخصوص .

وبذلك نجد أن العرب قديما قد أعطوا للحجاج عناية كبيرة ، وقد تجسد ذلك في العصر الاسلامي ، لا سيما في السنة النبوية الشريفة.

فالحديث النبوي الشريف في الذروة ، من البلاغة ، لا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع الا كتاب الله ، بلاغة وفصاحة وروعة ، وما أجود ما قال[2]

1- بلقاسم لمام ، البلاغة العربية وألية الحجة ، الأثر ، مجلة الآداب واللغات ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد الرابع ، ماي 2005 ،ص 244.

2- المرجع نفسه ، ص نفسها.

الجاحظ في شأنه: " هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف... واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حق بالعصمة وشيد بالتأكيد ، ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ... لم تسقط له كلمة ولازالت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له فصم ، وألا أقحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يحتج الا بالصدق ... ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا من كلامه صلى الله عليه وسلم "[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم : **" اللهم هل بلغت"**

هذه اللازمة التي ردها الرسول صلى الله عليه وسلم في أصول خطبه الأخيرة وهي خطبة الوداع ،هي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها

لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات ، فما كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها بعملها وقولها ، وحركتها وبكونها ، الا تبليغ وبلاغ ، وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله صلى الله عليه وسلم وهو يجود **" جلال ربي الرفيع فقد بلغت "**

ولصدق هذه الدلالة ترى أن السمة الغالبة على أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم هي سمة " الإبلاغ " قبل كل سمة أخرى .[2]

1- ينظر الجاحظ ، البيان والتبين ، ص 17.

2- العقاد ، عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ،2001 ،ص71.

فمهد العربي القريشي الناشئ في بني سعد ، العالم بلهجات القبائل لم يكن في كلامه كل غريب يجهله السامع أو يريد تبيانه الى مراجعة ، وسر ذلك أن يريد أن يبلغ أو أن يصل الى سامعه بدون أن يقيم بينه حاجزا من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب.[1]

وكذلك ما يروي عنه ،أنه كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه كما أنه كان يبغض التكلف والاغتراب بالبلاغة كما قال صلى الله عليه وسلم : **" ان الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها"**[2]

وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته الخاصة والعامة أنه كان قليل الكلام معرضا عن اللغو ، لا يقول الا الحق ، وان قاله في مزاح ، فمن ثمة لا عجب أن يخلو كلامه من التكرار ، والزيادة ، واذا كرر اللفظ بعينه كما جاء ، في بعض المعاهدات ، الذي لا محيص عنه لأن تكرار النص يمنع التأويل عن اختلاقه ،فهو أيضا سمة من سمات الابلاغ على سبيل التوكيد والتحقيق.

وهكذا يتضح لنا أن معاني الحديث محكمة ، منسجمة ، قد فلامت كل ما لا صلة له بالمعنى ، ويبدوا عن الحديث عن ايجازه وإحكامه ، مبسوط المعنى بأجزائه ... ليس فيها اضطراب ولا نقص ، حتى كأن تلك الألفاظ القليلة انما ركبت تركيبا على وجه تقتضيه ، طبيعة المعنى في ذاته ، وطبيعته في النفس الانسانية ، فمتى وعاها السامع ، واستوعبها القارئ تمثل المعنى في نفسه على حسب ذلك التركيب.[3]

1- نفسه ، ص نفسها .

2- نفسه ، ص72.

3- نفسه ، ص نفسها .

ومعاني الحديث تغوص في أغوار النفس الانسانية ، وتلامس أعماقها و أبعادها وتؤثر فيها تأثيرا عظيما ، ان حديثا وافدا كان يكفي لتغير حياة انسان تغييرا جذريا أصيلا .

والحديث النبوي الشريف خطاب تعليمي بما تتضمنه الغاية التقليد منه ، من تحقيق الغايات التشريعية و التبينية لأن هذه الغايات تندرج جميعها في الغاية التعليمية ، وان جمع الحديث النبوي بين هذه الغايات جعل له خصوصية بين أنواع الخطاب المختلفة الى جانب خصوصية أنه ليس خطابا بشريا خالصا.[1]

02- الحجاج في الأحاديث النبوية :

إن علم إقامة الحجج والبراهين ، لتأييد مباني أصول الدين وشرائع الأحكام الفقهية علم رفيع مناره ، عظيم مقداره ، تجب العناية به ، وهذا العلم كان باعث الرسل الكرام لإقامة الحجة على الخلق بحكم آياته :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ {[2]

وأول ما أمر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس له بالحجة البالغة ، بلا قتال ، فكما قامت الحجة وعاندوا الحق، أطلق الله تعالى عليهم السيف.

1- ينظر ، محمد الصباغ ، الحديث النبوي ، مصطلحه ، بلاغته ، كتبه ، دار الكتب الاسلامي ، بيروت ط 4،ص 22

2- سورة ابراهيم ، الآية 04.

وقد أمر الله تعالى بالجدال على رسوله صلى الله عليه وسلم كما جاء عن أنس بن مالك قال ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم **" جاهدوا المشركين بأموالكم ، وأنفسكم و ألسنتكم"**[1]

وهذا الحديث الصحيح فيه الأمر بالمناظرة ، وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم : **" أبعض الرجال الى الله الألد الخصم" .**

ولقد حث الاسلام على طلب العلم وعلى التفكير والاعتبار ، والاستنتاج وجعل شعار دعوته ، وترادفت أخبار الحث على طلب العلم فيه ، وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم **" طلب العلم فريضة على كل مسلم "** [2]

فكان هذا سببا في إطلاق الحرية العلمية للناس جميعا، وخاصة أهل الأخلاق ، منهم والذين بهم قوام الأمة اذ يحملون ما فوقهم ، ويضعون ما تحتهم ، وبذلك نضجت المنافسات العلمية و أتت ثمارها هذا وان العقل البشري يتطلع دائما الى قوة الاقناع عن طريق الحجة والعلم والبرهان .

أثر الحجج القرآنية في السنة النبوية :

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم هداية للناس وتبيانا لكل شيء ، وكان عليه الصلاة والسلام يواجه المشكلات التي يثيرها خصومه من المشركين و أهل الكتاب ، وكلما أثاروا شبهة أو راموا جدالا ومعارضة ، نزل القرآن الكريم بالقول الفصل والحق الواضح الذي لا لبس فيه.[3]

1- ينظر ، السويطي ، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، مصبغة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة 1954 ،ص 411.

2- ينظر أبي القيم الدمشقي ، ارشاد القرآن والسنة الى طريق المناظرة وتصحيحها ، وبيان العلل المؤثرة ، ت أيمن عبد الرزاق ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ،ط 1 ، 1999،ص 28 ،29

3- المرجع نفسه ، ص نفسها.

هذا وقد وعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعاد المعترك الفكري بين القرآن وخصومه ، وما اشتمل عليه من تقرير الحجج الصحيحة ، وابطال الشبه الفاسدة وذكر التأويلات البعيدة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر وخاتم النبيين وقد نزل عليه القرآن فهو حر بأن يتخلق بأخلاقه ويسير على منواله ، وقد كان صلى الله عليه

وسلم كذلك لما أوتي بواسع الكلم ، مع ما فهمه من كتاب الله المنزل عليه كل هذه العوامل تجعل من الحق قوة براهينه متماسكة ، وسواء كانت هذه القوة في القرآن أو السنة فإن الجانب الذي صدرت عنه القوة واحد ، ومدار ذلك يتضح بأمرين .

أولهما : أننا نجد حجج القرآن ، وبين الحجج الواردة في السنة النبوية علاقة قوية بل هي وحدة متماسكة لا انفصام لها ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم اتبع المنهج الذي سلكه القرآن في أدلته وحججه ومناظراته ، وهذا ما يظهر جليا في التوجيه والجدال الذي كان يقوم به رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالة الله عندما تدعوا الحاجة الى استخدام ذلك النوع من الجدل .[1]

الثاني : أن الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون وكان عليه الصلاة والسلام هو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه ، وشاهده في ذلك أصحابه ، ونقلوا ذلك عنه وكان هو المعبرين عن ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونجد أيضا أن الحجاج في الحديث النبوي الشريف قد تباين واختلف من حديث لآخر ومن أشهر ما يستدل به حديث الرجل ' الرجل الذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكرا لون ولده قائلا' : **" يا رسول الله ، إن امرأتي ولدت غلاما أسودا**[2]

1- المرجع نفسه ،ص 57،59.

2- نفسه ،ص 88

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من الإبل؟ قال: نعم، قال فما لونها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها أورق ؟ قال نعم ، قال فمن أين ذلك ، قال عرقا نزعه فقال الرسول : وهذا الغلام لعل عرقا نزعه "

كيف تضمن إلغاء هذا الوصف الذي لا تأثير له في الحكم، وهو مجرد اللون ومخالفة الولد لأبوين فيه ، وإن مثل هذا لا يوجب الله ، وإن نظيره في المخلوقات مشاهد بالحس ، والله خالق الإبل وخالق بني آدم وهو الخلاق العليم ، فكما أن الحمل الأورق ، قد يتولد من بين أبوين أسودين ، فكذلك الولد الأسود قد يتولد من أبوين أبيضين ، فهذه من أصح المناظرات والارشاد الى اعتبار ما يجب اعتباره من الأوصاف وإلغاء ما يجب إلغاؤه منها،وأن حكم الشيء حكم نظيره و أن العلل والمعاني حق شرعا وقدرا [1] .

كذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعمر وقد سأله عن القبلة للصائم قال: **" أريت و تمضمضت "** فتحت هذا إلغاء الأوصاف التي لا تأثير لها في الأحكام ، وتحته تشبيه الشيء بنظيره ، وبإلحاقه به ، أي اثبات القياس والجمع بين الشيئين في الحكم الواحد لاجتماعها في الشبه وذلك أن المضمضة بالماء ذريعة لنزوله الى الحلق ووصوله الى الجوف ، فيكون به فساد الصوم ، كما أن القبلة ذريعة الى الجماع المفسد للصوم يقول فإذا كان أحد الأمرين منهما غير مفطر للصائم فالآخر بمثابته. [2]

1- ينظر ، نفسه ،ص 85.

2- ينظر ، نفسه ، ص26.

ثانيا : حجاجية الاستعارة في الأحاديث النبوية .

01- حجاجية الاستعارة:

أ- مفهوم الاستعارة :

*** لغة :** الاستعارة مأخوذة من العارية ، أي نقل الشيء من شخص الى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار اليه ، والعارية والعارة ، ما تداولوه بينهم وقد أعار الشيء وأعاره منه وعاوره اياه،والمعاورة و التعاور، شبه المداولة، والتداول يكون بين اثنين ، وتعود واستعار : طلب العارية ، واستعاره واستعاره منه : طلب منه أن يعيره اياه.[1]

أما مفهوم ا لاستعارة في الاصطلاح هي : تشبيه حذف أحد طرفيه ، فعلاقتهما المشابهة دائما .[2]

والاستعارة : ضرب من المجاز اللغوي ، تعتمد على العلاقة ، بين المستعار له والمستعار منه ، قوامها التشبيه ، بين هذين الطرفين ، لكنها تتجاوز مرحلة التشبيه لتقوم على أساس ادعاء أن المشتبه قد أصبح من جنس المشتبه به ، ومن هنا لا بد أن يختفي أحد الطرفين خلف الآخر ليفهم من السياق ، وقد يوجد ما يدل عليه من لوازمه[3]

يعرفها عبد القاهر الجرجاني **:" أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره "[4] ، وتجيء الى رسم المشبه به، فتعيره المشبه ، وتجريه عليه [5]**

1- اللسان (عور).

2- علي الجارم ، وآخر ، البلاغة الواضحة (البيان، المعاني ، البديع)، دار المعارف ، 1149 ، القاهرة ، ص 80.

3- فالح حمد أحمد الحمداني ،الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ،ص 176.

4- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ،ص 53.

5- المفتاح ،ص 174.

وعرفها السكاكي بقوله **:" أن نتذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالا على ذلك باتباعك للمشبه ما يخص المشبه به "**

وهكذا يحقق الأسلوب الاستعاري ، المجازية ، والإعارة ، والإدعاء ، المبالغة والاختصار ، المجازية ، إذ يغير الدلالة فيغيرها ، والاعارة لأن اللفظ المستعار يكون كالعارية في استخدامه الجديد مع احتفاظه بإيحاء دلالته الأصلية ،والادعاء لأنه ، يقوم على ادخال المشبه في جنس المشبه به تصور لا حقيقة ، والمبالغة لأنه أعد في اثبات الحكم بل والتشديد في قوة اثباته ، والإختصار ، اذ الفاعل في الدلالة حينئذ ، المشبه والمشبه به ، كما أن المذكور في العبارة أحد الطرفين ، وبذلك يعطي الاستعارة من المعاني بين معاني أحد طرفي الاستعارة[1]

والاستعارة قسمان :[2]

* **تصريحية :** وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به .

* **مكنية :** وهي ما حذف فيها المشبه به ، ويرمز بشيء من لوازمه ويقسم البلاغيون الاستعارة ، سواء أكانت تصريحية أو مكنية الى :[3]

* **أصلية :** هي ماكان اللفظ المستعار ، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما جامدا غير مشتق ، وسميت أصلية لعدم بنائها على تشبيه تابع اتشبيه آخر معتبرا أولا .

* **التبعية :** وهي ما كان اللفظ المستعار ، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا ، فهي خدع من الأصل تبع لها .[4]

1- فالح أحمد حمد الحمداني ، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ، ص 178.

2- البلاغة الواضحة ،ص 78.

3- نفسه ،ص 84.

4- نفسه ،ص 90 ، 91.

وتنقسم أيضا الاستعارة الى :

* **المرشحة :** ما ذكر معها ملائم المشبه به.

*** المجردة :** ما ذكر معها ملائم المشبه.

*** المطلقة :** ما خلت من ملائمات المشبه به أو المشبه.

لا يعتبر الترشيح ، أو التجديد الا بعد أن تتم الاستعارة باستيفائها قرينتها لفظية أو حالية[1] ، ولهذا لا تسمى قرينة التصريحية تجديدا ، ولا قرنية المكنية ترشيحا.

*** أصول الشبه الاستعاري :**

أجمع البلاغيون على أن الاستعارة ثلاثة أركان هي : المستعار منه، وهو المشبه به ، والمستعار له هو المشبه ، والمستعار وهو اللفظ المنقول الذي تحدث فيه عملية الاستعارة .

فالأول والثاني طرفا الاستعارة ، ولا بد أن يحذف أحدهما الى جانب وجه الشبه لتكون الاستعارة .

ولما كانت الاستعارة خطوة متطورة عن التشبيه، كان التأكيد على الشبه الاستعاري ناجما عن اعتبار التشبيه في هذا الجزء من الاستعارة هوالأساس الذي تبنى عليه ، لأن الصورة التي يتخذها الشكل أو الصيغة التي تمثل النموذج الأدبي ، لهذا فلا بد لنا من الالتفات نحو هذا الأساس والسير معه .[2]

[3] وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني هذه الصورة ادراك الخبير المتخصص،فقسم مآخذ

1- نفسه ، صفحة نفسها.

2- محمد حسين علي الصغير ، أصول البيان العربي ، رؤية بلاغية معاصرة ،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،د ت، ص 96 ،97.

3- عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،تحقيق ،ريتر ،مطبعة المعارف اسطنبول ،1954،ص61.

الشبه الاستعاري ومواطنه الى أصول :

*** الأصل الأول :** أن يؤخذ الشبه من الأشياء المشاهدة والمدركة بالحواس على الجملة للمعاني المعقولة.

*** الأصل الثاني :** أن يؤخذ الشبه من الأشياء المحسوسة لمثلها ، الا أن الشبه مع ذلك عقلي.

*** الأصل الثالث :** أن يؤخذ الشبه من المعقول للمعقول.

ب- حجاجية الاستعارة :

لا شك أن الاستعارة هي احدى أبرز صور للمجاز و أكثرها قدرة على التأثير فالقول الاستعاري ، يتميز عن القول الحرفي في الحجاج بكونه يؤدي عدة وظائف في عملية التخاطب ، وعمليتي الفهم والتأويل بين المتكلم والسامع ، ولذا فإن القول الاستعاري يعد آلية حجاجية بامتياز.

ومما يدل على ادراك البلاغيتين للبعد الحجاجي للاستعارة ، ربطهم لها بما عبروا عنه بالمبالغة ، ومن هنا فإن المبالغة في توكيد الصفات المراد تقريرها واثباتها [1] للمعنى المراد نقله تكون أقوى مما تفيدها الصورة التشبيهية ، ولذلك لأن الصورة الاستعارية أقدر على تحقيق التخيل في نفس المتلقي من الصورة التشبيهية ، لأنها تجعل الشيء غيره والتشبيه يحكم عليه أنه غيره.[2]

فإذا قال قائل رأيت أسدا ، وهو يعني رجلا شجاعا ، فقد استعار اسم الأسد للرجل ومعلوم أنه أفاد بهذه الاستعارة مالو لاها لم يحصل له ، وهو المبالغة في وصف[3]

1- المقال السابق ، البعد الحجاجي في البلاغة العربية ،ص 05.

2- فالح حمد أحمد الحمداني ، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ،ص 174.

3- المقال السابق ،البعد الحجاجي في البلاغة العربية ،ص 06.

المقصود بالشجاعة، وايقاعه من نفس السامع صورة الأسد في بطنه واقدامه وصدقه ولئن اتسم موقف بعض البلاغيين في العموم بنوع من التذبذب بين الانتصار لجانب الاقناع العقلي ، والتركيز على جانب التأثير الوجداني ، فإنهم يجعلون فضيلة الاستعارة

في تأكيد المعنى وتشديده ، والمبالغة فيه ، وهذا التأكيد ذو طابع حجاجي اقناعي ، على الرغم من امكانية تداخله مع التأثير الوجداني .

ولكي تتمكن الصورة الاستعارية من القيام بدورها البياني، والتأثير في نفس المتلقي واثارة الانفعال المناسب عنده ، ولكي يتم التفاعل بين الصورة والمعنى ، وجب أن تتوفر على عنصر الملائمة [1].

فاللفظ المستعار يجب أن يكون ملائما للمستعار له، من حيث الدلالة الايحائية والجو النفسي العام ، أو حركة النفس الوجدانية ، ورصيدها من الخيرات ، وذلك لأن النفس تتفاعل مع وما يتماشى وحركتها الشعورية ، وما تجده معبرا بصدق عن خلجاتها وملائما للجو النفسي العام الذي وضعت الصورة البيانية للتعبير عنه ، ومصدر تلك الصورة المستوحاة من عالم الحس شهد بضرورة توفر هذه الحاجة النفسية في الاقناع والتأثير .

02- صور الاستعارة في الحديث النبوي الشريف.

لقد ظهر في الاستعمال الاستعاري للحديث النبوي الشريف الميل الى أخذ الشبه من الشيء المحسوس الى المعقول في الأغلب ، لأن ذلك مما يستحسن في الفنون البيانية.

وما زال الغرض من استخدامها هو الايضاح وتقريب المشاهد فضلا عن كونه بديهيا [2]

1- مجيد عبد المجيد ناجي ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ،1984 ،ص 180.

2- فالح حمد أحمد الحمداني ،الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ،ص 192.

لا يحتاج الى اثبات والأصل في الاستعارة كما يرى معظم البلاغيين هو أن يستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول ، ومن ثمة وجدت بقية الأمثلة تميل الى أخذ الشبه من الشيء المحسوس ، فضلا عن وجود أمثلة قليلة جدا أخذت من المعقول الى المعقول ، أو من المعقول الى المحسوس وهذا ان دل على شيء ، فإنه يدل على حسية

الانسان ، وبساطة تفكيره ، في ذلك الوقت ، مما دعى الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن يخاطبه بمقتضى حاله ، لأن هذه الصورة الحسية أقرب الى التصديق والقبول [1]لأن الفرد كان ساذجا يستقبل المحسوسات

ومن أمثلة هذا الأصل ، قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **" لا تستضيئوا بنار المشركين "** [2]

فاستعار صلى الله عليه وسلم النار ، للرأي المشورة أي لا تهتدوا برأي المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم.

فرأي المشركين أمر معنوي يدرك بالعقل ، وتمثيله بالنار هو اظهار له في صورة محسوسة ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر منها ، لأنها في الظاهر تنير ولكنها في الحقيقة تحرق ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل ضوء المشركين ،لأنه يريد أن يعبر عن الضوء الزائد الاحراق ، وبذلك يبدوا فيها ، أي المشركين نارا تحرق كل من يلامسها ، أو يأخذ بها ، فالسر في قوة تأثير هذه الصورة ، وجمالها راجع الى مفعول الاستعارة ، هذا المفعول الذي انتقل بالفكرة من عالم المعاني ،الى المدركات مبالغة.[3]

1- نفسه ،ص 192.

2- ابن الأثير ، المثل السائر 1 ، ص 345.

3- فالح أحمد الحمداني ، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ،ص 195.

[1] ومنها قوله صلى الله عليه وسلم **:" بلوا أرحامكم ولو بسلام"**

فشبه صلى الله عليه وسلم صلة الرحم سبل الشفاء ، فالشفاء اذا ما ترك جف ويبس وتقلص وتلف ، ومعنى الحديث أي ندوها بالصلة ، قال ابن الأثير : **" وهم يطلقون النداوة على الصلة ، كما يطلقون اليبس على القطيعة"** [2]

فالصلة أمر معنوي يدرك بالعقل أيضا ، وتمثيله بالنداوة هو اظهار له في صورة محمسة مشاهدة ماثلة أمام الأعين ، وهذا مما يدرك لأنه محسوس .

ومن تلك الأمثلة أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : **" قيدوا العلم بالكتاب "** يقول الشريف الرضي : هذه الاستعارة ، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل ضروب العلم بمنزلة الآبل الصعاب ،التي تشرد ان لم تعقل ، وتند ان لم تقيد ، وجعل الكتاب لها بمنزلة الأقياد المانعة والعقل الازمة .

في هذا الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه اثبات العلم، وعدم نسيانه بالتقييد بالعقال في عدم انفلاته ، واشتق من القيد بمعنى الاثبات ، ويمكن اجراء استعارة مكنية فيه أيضا ، حيث شبه العلم بحيوان يقيد وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو القيد على طريق الاستعارة المكنية .

وفي كلتا الحالتين نقل صلى الله عليه وسلم، الشبه الاستعاري من عالم المعنويات الى عالم المحسوسات ،لأن العلم شيء معنوي ،استعير لتوضيحه ما في الطبيعة من أشياء معروفة ومألوفة ، وهو القيد ، أو الحيوان زاد من استيعاب الصورة المعبرة عن معناها الحقيقي.[3]

1- نفسه ،ص 196.

2- الشريف الرضي ، المجازات النبوية ، تحقيق وشرح ، طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ص101.

3- نفسه ، ص 129.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم **:" إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب "**

والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر في هذا الحديث من الحسد لأنه مرض نفسي عواقبه وخيمة ، لأنه يخرج بصاحبه الى الاقدام الى المعاصي ، فيحاول صلى الله عليه

وسلم أن يقرب الحقيقة الى الافهام فيخرجها من عالمها المعنوي الذي يدرك بالعقل الى عالم الحس مما يألفه الانسان ويعيشه وذلك لإقناعه بهذه الحقيقة وتجنبها [1].

يمكن أن نجد الشبه الاستعاري المأخوذ من الملموس للمعقول في هذا الحديث واضحا من خلال اجراء ما فيه من استعارة ، حيث شبه اذهاب الحاسد للحسنات بأكل النار للحطب بجامع ، واشتق من الأكل بمعنى الافناء يأكل بمعنى يغني عن طريق الاستعارة التصريحية التبعية، وفيه أيضا استعارة مكنية في تأكل النار ،لأن النارلا تأكل وانما شبهت بحيوان يأكل وحذف ورمز اليه شيء من لوازمه وهو الأكل

*** الاستعارة التصريحية :**

ومن أمثلة الاستعارة التصريحية الأصلية في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم **:" من خالق الجماعة ، فقد خلع ربعة الاسلام من عنقه" .**

ففي قوله صلى الله عليه وسلم ربعة ،استعارة تصريحية أصلية ،وذلك لأنه شبه تعاليم الاسلام ، أوامره ونواهيه ولزومها للمسلم ، بربعة الدابة التي تربط فتمنعها من الفرار كما تمنع تعاليم الاسلام المسلم من الخروج عليها ، بجامع المنع في كل منها نحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبل الاستعارة التصريحية ، ومدام [2]

1- فالح أحمد الحمداني ، الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ، ص 192.

2- نفسه ،ص ، نفسها .

اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة جامدا ، فكانت استعارة أصلية ، والرسول عليه الصلاة والسلام يعظم الاسلام بهذه الصورة المعبرة عن ضرورة الالتزام بالإيمان العميق الذي يحدد المسلم فيمنعه كما اتفق عليه جماعة المسلمين من الانصياع الكامل لأوامر الاسلام وتعاليمه ، ويقول الشريف الرضي : " فشبه عليه الصلاة والسلام ما في عنق الانسان من لوازم الاسلام ومعاقد الايمان ، بالربعة التي في

عنق النحل ، لأنه تصده اذ هم بالشرود ، وتمسكه اذا جاذب الى النزوع وكذلك الاسلام يمنع صاحبه " وهذه الاستعارة كما يتضح استعارة المحسوس للمعقول فشبه صلى الله عليه وسلم تعاليم الاسلام من أوامر ونواه ، وهي من الأمور المعقولة بما يقع تحت مشاهدة المسلم اليومية ، فيزيد من قوة تمسكه بالإسلام.[2]

ومما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :" **أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال صلى الله عليه وسلم[3] بصلاة وصيام ، ان المفلس من أمتي ، من يأتي يوم القيامة وزكاة ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل من مال هذا وينعك دم هذا وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار" "رواه مسلم" .**

وفي هذا الحديث الشريف يلفت الرسول الكريم أنظار الصحابة رضي الله عنهم بخاصة والمسلمين بعامة الى أمر عظيم هام ، من ناحية دقيقة طالما عقل كثير من الناس[4] عنها، ولم يفطنوا لها، تلك من تصور الافلاس على حقيقته، فالناس يعتبرون

1- المجازات النبوية ، ص300.

2- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ، ص205.

3- صحيح مسلم ،بشرح النووي ، ط2 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 1392ه.

4- المرجع نفسه ،ص نفسها.

المفلس من لا يملك شيئا من المال أو فقد ثروته وماله ، فهم يحصرون الافلاس في المادة فحسب ، ويجعلونه قاهرا على الدرهم والدينار ، والمتاع والرسول صلى الله عليه وسلم ، ينظر الى الافلاس من زاوية أوسع ، فهو يهتم بالحقيقة دون المظهر فهو يخاطب أصحابه بأسلوب فيه اشارة الى البحث والتفكير ، وفيه تنبيه لهم وللمسلمين

الآخرين الى أن يغوصوا في أعماق الموضوع لتظهر لهم الحقيقة ناصحة جلية ، فليس المال والمتاع بالشيء المخيف ، ولكن الافلاس الحقيقي هو تضييع أمور الدين.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم وطرحت عليه ،استعارة تصريحية تبعية ، وطريق اجراء هذه الاستعارة ، أن يقال شبهت الخطايا والسيئات بشيء ثقيل كحمل الذي تحمله الدابة مثلا بجامع التعب والمشقة التي تعتري الحمل ، ثم استعير لفظ الطرح ،للحمل الثقيل ، واشتق منه الطرح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، فكأن الذنوب تطرح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:**(بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث القوم جاءه أعرابي فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعض القوم ، سمع ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع ، حتى اذا قضى حديثه ، قال أين السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا يا رسول الله ، قال : اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : وكيف اضاعتها ؟ قال : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة)"رواه بخاري"**

ففي قوله صلى الله عليه وسلم اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة كلمة هادفة ، وحكمة [2]بالغة من جوامع كلمة صلى الله عليه وسلم ، فالأمانة ،اذا ضاعت، والمسؤولية اذا

1- نفسه ، صحيح مسلم .

2- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ، ص 206

فقدت ، والأمور اذا تقلدها الجهال ، وأصبحت الحياة فوضى ، فإن ذلك أكبر [2]برهان على قرب قيام الساعة .

وقوله صلى الله عليه وسلم **" ضيعت الأمانة "** شبه التكاليف الشرعية بالأمانة ، بجامع وجوب الحفظ والرعاية ، ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به ، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: **(مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر ، فقال لها : اتقي الله واصبري فقالت ، اليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي – ولم تعرفه - فقيل لها : إنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتت باب النبي فلم تجد عنده ... بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال : انما الصبر عند الصدمة الأولى) "رواه بخاري"**

فقوله صلى الله عليه وسلم : **(الصبر عند الصدمة الأولى)**، فيه استعارة لطيفة فقد شبه وقع المصيبة على الانسان بالصدمة ، فحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ، ومدام اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة جامدا فالاستعارة أصلية .

وفي هذا الحديث دعوة الى الصبر وتقوى الله، لتلك المرأة التي فقدت ولدها، ولكن وقع المصيبة كان عظيما ، لذلك خاطبت الرسول صلى الله عليه وسلم بألفاظ لا تليق بمقامه الشريف[3]، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قابلها بالسماحة والعفو، ولم تلبث

1- صحيح البخاري.

2- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ، ص 206.

3- محمد علي الصابوني ، من كنوز السنة النبوية (دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف) ، مطابع البحث ، قسنطينة ، الجزائر ط2 ،1986 م1406 ه ، ص145

حتى جاءت تعتذر ، فقيل الرسول الكريم اعتذارها وضرب لها أروع الأمثال في أسلوب النصيحة[2] وبذلك استعار المحسوس للمعقول .

والأمثلة كثيرة على الاستعارة التصريحية سواء أكانت أصلية منها أم تبعية.

*** الاستعارة المكنية :**

ومن أمثلة الاستعارة المكنية ،فالتصوير بهذا الأسلوب يبلغ الغاية من الجمال والدقة ويتسع ليشمل أمور الدين والدنيا ، والحياة الحاضرة والحياة الخالدة.

ومن تلك الصور، صورة الاسلام وقد بني على أركان خمسة ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج وصوم رمضان" "صحيح البخاري"**

فالإسلام يصوره الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء محسوس، فهو بناء قائم على أركان خمسة ، وهي صورة تبرز أهمية هذه الأركان ، فقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الشبه الاستعاري من المحسوس للمعقول ، ليتمكن المتلقي من استجابة وفهمه على أسس من الايمان الراسخ لأهمية الاسلام في حياة المسلم .

ففي قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام ،استعارة مكنية حيث شبه الاسلام بمبنى له دعائم ، ثم حذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو البناء.

ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم **:"ان الاسلام غريبا، وسيعود غريبا"**، ففي هذا الحديث[3] ،استعارة بالكناية، حيث شبه الاسلام بالإنسان الذي يكون بين غير أهله

1- صحيح البخاري.

2- محمد علي الصابوني ، من كنوز السنة النبوية ، ص127.

3- للصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ، ص 207

وحذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو كلمة غريب .

فالرسول صلى الله عليه وسلم ، يحث من خلال هذا التشخيص على الاستفادة والتزود من زاد التقوى قبل أن يفوته الوقت وينحرف عن الصواب وهذا ما جعل وقع هذه الحالة فأشهر على نفوس السامعين.

ومن تلك الأمثلة أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : **" من أحيا أرضا ميتة فهي له ليس لعرف ظالم حق"**[1]

فهذا الجزء من الحديث الكريم يصور الأرض في حالتين صورتي الميت والحي ليبين أن الذي وهبها الحياة لجهده أحق بخيرها ، وقد أسند وصفات من أوصافه اللازمة الى المشبه ، وهو الأرض على سبيل التخيل ، هذان الوصفات هما : أحيا وميتا[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

تسعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله :

* إمام عادل .

* وشاب نشأ في عبادة ربه .

* ورجل قلبه معلق في المساجد .

* ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتقر فاعليه.

* ورجل دعته امرأة ذات منصب ، وجمال فقال ، إني أخاف الله.

* ورجل تصدق بصدقة ، فأخفاها حتى لا تعلم بشماله ما تنفق يمينه.[3]

1- ابن الرفيع الزبيدي ، تيسير الوصول الى جامع الأصول من أحاديث الرسول ، القاهرة ،1934 ،ص 35.

2- الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف ،ص 224.

3- المرجع نفسه ، ص نفسها.

* ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم **(لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)** فيه استعارة لطيفة تسمى (الاستعارة المكنية) فقد شبه اليد اليمنى بإنسان ، واليد اليسرى بإنسان آخر وحذف المشبه به وهو الشخص الأول ، ورمز اليه بشيء من لوازمه وهي اليد على طريق على طريق الاستعارة المكنية .[1]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(إِنّ بَيْنَ يَدَيَ السَّاعَةَ فِتَنا كقطع اللّيل المظلم ، يُصْبِحُ الرّجُل فيها مؤْمِنًا ويُمْسِي كَافِرًا و يُمْسِي مُؤْمِنًا و يُصْبِحُ كَافِرًا ، يبيعُ دينهُ بعرضٍ منَ الدُّنْيَا قليلٍ)** رواه [2] الترميذي

ففي قوله صلى الله عليه وسلم (بين يدي الساعة)استعارة مكنية وطريق اجراء هذه الاستعارة أن نقول شبه الساعة برجل وحذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو اليد ،على سبيل الاستعارة المكنية ، بجامع القرب بين كل منهما ، فاليد قريبة من الرجل والفتن قريبة من الساعة .

ففي هذا الحديث الشريف صفحة من صفحات الجمال الفني في روعة العرض وسمو التصوير والتشبيه ، فإن الانسان ليحس بالبلاء الذي ينزل ، والفتن التي تحيط به وكأنها ملموسة محسوسة ، تلاحقه كما يلاحق الظلام غسق الليل ، وتلازمه كما يلازم الهلع قلب الجبان .... و أي انسان لا يفزع وهو يرى ذلك المنظر المخيف ، وتلك الصورة الرهيبة التي تملك عليه شعوره واحساسه .

1- محمد علي الصابوني ، من كنوز السنة ،ص 15 ،ص22.

2- سنن الترميذي أو الجامع الصحيح ، تحقيق ، ابراهيم عطوة عوض ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،القاهرة د ت.

الخـاتـمـة :

وهكذا أكون قد أنهيت بحثي هذا ، فحاولت من خلال أن ألم ولو بالشيء القليل بجوانب الموضوع ، وقد توصلت الى بعض النتائج منها :

* لقد كان للحجاج حضوره في البلاغة العربية ،التي شكل البرهان والاقناع أحد أهم مباحثها ، ويمكن القول أن البلاغة ظل يتجاذبها جانبان أساسيان ، جانب التواصل والابلاغ ، وجانب الفن والجمال الدلالة والابلاغ بما يعنيانه من دقة ومباشرة ووضوح واقناع ، والفن والجمال بما يفرضانه من غموض وتخيل وامتاع .

* لقد كان البلاغيون القدماء على وعي بتعدد استعمال الظاهرة اللغوية ، فكانوا يفرقون بين مستويين اثنين على الأقل أحدهما : استعمال مطبوع بسمة فنية خاصة.

* لو تأملنا مفهوم البلاغة عند القدماء لوجدنا أنه ذو أبعاد لا تنحصر في ثنائية التواصل والجمال ،بل هو مفهوم متعدد المعاني متشعب الأبعاد ، وكان قدماء البلاغيين على وعي بهذا التعدد و التشعب.

* البعد الحجاجي يتداخل مع استعمالات أخرى ، وبخاصة الاستعمال اللغوي النفسي الهادف الى التأثير ، والاستعمال الأسلوبي الذي يدور حول ما يتضمنه الكلام من خصائص ، يتحول بها من مجرد ابلاغ رسالة لسانية الى مادة فنية.

* ما يبرز أمامنا من ظواهر البعد الحجاجي للبلاغة ما نجده في ثنايا تعريفاتها من اشارة الى جانب الحجة والاقناع ، أو الغلبة والإقحام.

* مبدأ مراعاة مقتضى الحال وهو مبدأ هام لا ينفصل عن تعريف البلاغة نفسها وهو من أبرز الظواهر المتصلة بالبعد الحجاجي للبلاغة العربية.

* ومن أهم الظواهر الدالة على البعد الحجاجي في البلاغة العربية تلك المصطلحات التي يغلب عليها طابع البرهان والحجاج والاقناع ، فهذه المصطلحات تركز على

الحجة والاقناع أكثر من تركيزها على الفن والامتناع (الاحتجاج ، الاستدلال الالجاء...) .

* اذا كانت اللغة هي وسيلة التواصل المثلى ، فان الحجاج هو شكل من أشكال هذا التواصل ، وحالة من حالاته التي يسعى فيها المتكلم الى التأثير على السامع بجلب أولا واقانعه وكسب تأييده ، أو افحامه وغلبته وانطلاقا من هذا المفهوم يمكن أن ندرك سمات النص الحجاجي ،فهو نص يسعى الى الاقناع ، ويقدم البراهين التي تسمح لفكر ما أن يعلو على فكر أو غلبة موقف ،أو رأي على رأي.

* لقد زاد اهتمام الدارسين المحدثين بالحجاج في سياق الاهتمام بالتطبيقات التداولية للغة لاسيما في جانبها المتعلق بالتأثير والاقناع ، فأخذت دراسة الحجاج تهتم باستراتيجية الخطاب الهادف الى الأسر والاستمالة ، وذلك بغية احداث تأثير في المخاطب بالوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول الى بعض الأهداف الحجاجية.

* الحجاج كان حاضرا في تراثنا البلاغي العربي ، ولكنه لم يظهر كمنهج خاص له قواعد وتصنيفات ، الا من قبل المحاولات الغربية ، كما يمكننا أن نستعين بهذا التراث البلاغي العربي على فهم هذه النظريات الغربية.

* ان ظاهرة الحجة ، كان حظها الاستعمال أكثر من حظها في الدراسة عند البلاغيين العرب.

* لا شك أن الحديث النبوي له خصوصية تجعلنا نقف أمامه وقفة طويلة ، فالحديث النبوي يأتي ليحقق نموذجا فريدا لخصائص النص ، في انفراده ، واطراده وديمومته.

* خصائص الأسلوب التعليمي في الحديث النبوي الشريف ما يفسر لنا مقولة جوامع الكلم ، بالإضافة الى البعد التشريعي يستلزم الدقة في الصياغة ، ولن تتوفر الدقة والأحكام بالوسائل الأسلوبية المحققة لذلك ومن هنا يصبح البحث في بلاغة الحديث

النبوي ، هو البحث في الكيفية الأسلوبية التي تحققت بها الدقة و الأحكام ، وصرامة تحديد الموقف.

* ينبغي أن ينظر الى بلاغة الخطاب النبوي ،على أنها بلاغة حقيقية (اقناع) ، وليست بلاغة خيال ، فهي بلاغة هادفة الى تمكين حقائق معينة في النفوس والقلوب ،والعقول ساعية الى اقرار منهج حياة ، وتقويم سلوك الأفراد والجماعة.

* الحديث النبوي ، لا يتسم بالغموض ، بل بالوضوح والسهولة لدرجة أن لكل من يقرأه يخرج بفائدة رغم اختلاف الثقافات ، فهو ليس مملوء بالغرابة والأغراق في المبالغات والخيال و الخيال فيه يأتي محكما في اقتصاره على اثارة تصورات ذهنية عند المتلقي ، تبعت على تصور أمور ذهنية ، غيبية فيما يتعلق بالجزاء ، أو التحذير من أمور غيبية في المستقبل .

* كما نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما يحدث الصحابة وهم أكثر الناس تصديقا له ، وايمانا برسالته ، فليسوا منكرين ولا مكذبين ، رغم ذلك جاءت الأحاديث مشتملة على وسائل للتأكيد ، ويمكن أن نقول أن هذا التأكيد ليس للمتلقي ذاته ، وانما التأكيد للكلام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يشك في تصديق المتلقي الحاضر وإنما يؤكد كلامه للمتلقي الذي سيسمع الكلام أنفا.

* لم تقف الأبعاد للاستعارة عند حدود الادعاء ، وما سنتبعه من إبهام ومبالغة ، وإنما اتخذت الاستعارة في مرمى من مراميها وسيلة للاستدلال وما ينطوي عليه من اثبات لإقرار المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي.

* ففضل الاستعارة يكمن في تأكيد المعنى وتشديده والمبالغة فيه وهذا التأكيد ذو طابع حجاجي اقناعي ، على الرغم من امكانية تداخله مع التأثير الوجداني.

* لقد ظهر في الاستعمال الاستعاري للحديث النبوي الشريف ، الميل الى أخذ الشبه من المحسوس الى المعقول في الأغلب أو من المعقول الى المحسوس ،فضلا عن

وجود أمثلة قليلة أخذت من المعقول الى المعقول ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على حسية الانسان ، وبساطة تفكيره ، في ذلك الوقت ، مما دعى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطبه بمقتضى حاله ، لأن هذه الصورة الحسية أقرب الى القبول والتصديق ، ولأن الفرد كان ساذجا يستقبل المحسوسات لذلك ما يقلب على بلاغة الخطاب النبوي هو الاقناع أي بلاغة حقيقة ، وليست بلاغة خيال .

* وكنتيجة عامة هو أن هذه المقاربات بين التراث العربي القديم والمناهج الحديثة سيعيننا على ابقاء الرابط بينها وبين هذا التراث العظيم ، وأن ظاهرة الحجة كان حظها من الاستعمال أكثر من حظها في الدراسة عند البلاغيين العرب ، وأهم ما يميز هذه الحجة في البلاغة العربية هو تنوعها من جهة ، وتوفرها على صفة الامتاع والاقناع معا من جهة أخرى.

- القرآن الكريم....(ورش)

- قائمة المصادر والمراجع.

1- أبو هلال العسكري ، الصناعيتين ، ت ، مفيد قمحة ، دار الكتب العلمية ، لبنان بيروت ، ط 2 ، 1989 .

2- أبو القيم الدمشقي ،ارشاد القرآن والسنة الى طريق المناظرة وتصحيحها ، وبيان العلل المؤثرة ، تحقيق ، أيمن عبد الرزاق ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ط1 1999.

3- ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في الأدب ، الكاتب والشاعر ، قدم له وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي ، و بدوي ، طبانة ، منشورات دار الرفاعي ، رياض ط.2

4- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، مج 2.

5- ابن فارس أبو الحسن ، أحمد زكرياء ، مقايس اللغة ، دار الجيل ، بيروت .

6- ابن ظافر الشهري عبد الهادي ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت .

7- الجاحظ ، البيان والتبين (د ت) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ، بيروت.

8- الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الاعجاز ، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

9- الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، شرح وتعليق ، وتحقيق ، محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ، دار الجبل ، بيروت ، ط1.

10- الجرجاني السيد الشريف ،التعريفات ، منشورات ، محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 2002 .

11- جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة.

12- حمو الحاج ذهيبة ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ذر الأمل للطبـاعة والنشر ، 2005.

13 - محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ، ط1 ،1986 .

14- محمد الصباغ ، الحديث النبوي ، مصطلحه ، بلاغته ، كتبه ، دار الكتب الاسلامي ، بيروت ط 4.

15- محمد ابن أبي القيم الجوزية الدمشقي ، ارشاد القرآن والسنة الى طريق المناظرة وتصحيحها ، وبيان العلل المؤثرة ، ت ، أيمن عبد الرزاق ،دار الفكر المعاصر دمشق سوريا ،ط 1 ، 1999.

16- محمد حسين علي الصغير ، أصول البيان العربي ، رؤية بلاغية معاصرة ،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،د ت.

17- محمود مصطفى العقاد ، عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ،2001 .

18- مجيد عبد المجيد ناجي ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ،1984 .

19- المتوكل أحمد ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، دراسة في الوظيفة والنمط منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار الألمان ، الرباط ، ط1 ،2010.

20- ناعم عودة خضر ، الأصول المعرفية لنظرية التلقي ، دار الشروق ، عمان الأردن ، ط 1 ، 1997.

21- السيوطي جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، (د ت).

22- سنن الترميذي أو الجامع الصحيح ، تحقيق ، ابراهيم عطوة عوض ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،القاهرة د ت.

23- العمري محمد (1999) ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ط1 ،افريقيا الشرق المغرب .

24- العقاد محمد عباس ، عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ، لبنان ،ط 2 ، 2001.

25- عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،تحقيق ،ريتر ،مطبعة المعارف اسطنبول 1954.

26- علي الجارم ، وآخر ، البلاغة الواضحة (البيان، المعاني ، البديع)، دار المعارف 1149 ، القاهرة.

27- عشير عبد السلام ، عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، افريقيا الشرق ، المغرب.

28- فالح حمد أحمد الحمداني ،الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف، المؤسسة الوراق ، عمان ، ط1 ، 2001.

29- صحيح مسلم ، يشرح النووي ط2 ، دار احياء التراث العربي، بيروت 1392ه.

30- صحيح البخاري ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، د ت.

31- صحيح البخاري ، م كتاب التعب ومطبعة مصورة.

32- صولة عبد الله ، الحجاج أطره منطلقاته من خلال منصف الحجاج ، الخطابة الجديدة لبرلمان وتتيكاه ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، من أرسطو الى اليوم، اشراف حمادي حمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية تونس ، كلية الآداب ، مونبة ،تونس.

33- القزويني ، جلال الدين ، الايضاح في علوم البلاغة ، تحقيق علي أبو ملحم ،دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،2000 م .

34- الشريف الرضي ، المجازات النبوية ، تحقيق وشرح ، طه محمد الزيني مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

35 - شوقي ضيف ، المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ،2004°القاهرة ، ط4 ، 1428

36- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ،دار المعارف ، بيروت، ط12 ،1995

- المـجـلات :

- بلقاسم لمام ، البلاغة العربية وألية الحجة ، الأثر ، مجلة الآداب واللغـات جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد الرابع ، ماي 2005.

- بوقرة نعمان ، نظرية الحجاج ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، عدد 407، 2005م.

- محمد العمري ، بلاغة الحوار للمجال والحدود ، مجلة فكر ونقد.

- مسعود بودوفة ، البعد الحجاجي في البلاغة العربية ، جامعة سطيف.

- www ,fikr wanakd dalja bariabed ;net (n61- 04alumari ;htm)

الفهرس

* فهرس الموضوعات *

- المقدمــة .....أ

المدخل : البعد الحجاجي في البلاغة العربية .

: صور الخطاب الحجاجي .الفصل الأول

أولا : ماهية الحجاج وخصائصه 16

1- مفهوم الحجاج 16

2- خصائص الخطاب الحجاجي.....19

ثانيا : أصناف الخطاب الحجاجي ونظرياته.....26

1- أصناف الحجاج 26

2- أهم نظريات الحجاج 28

أ- الحجاج في الدراسات الغربية 28

ب- الحجاج في الدراسات العربية 31

: بلاغة الحجاج في الأحاديث النبوية.الفصل الثاني

أولا : الحجاج في الأحاديث النبوية 37

1- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية 37

2- الحجاج في الأحاديث النبوية 40

ثانيا : حجاجية الاستعارة في الأحاديث النبوية 44

1- حجاجية الاستعارة 44

2- صورها في الأحاديث النبوية 48

الخاتمة 59

- قائمة المصادر والمراجع.....64

- الفهرس 70